
الشريد
جعفر الوردي

الشريد



"الشريد" رواية في الفكر والإنسان والوجود والخالق، أسئلة لا تنتهي، وإثارة لا تهدأ.
شعرتُ بأن الكاتب يتحدث بلساني في كثير من المواقع، عرفتُ بأن آلامي التي كنت أظن أنه لا أحد يعاني منها إلا أنا، يعاني منها الكثيرون، على الأقل الكاتب.
رحلة في بحر الإنسان الذي (كان أكثر شيئا جدلا)، رحلة تأمل وتدبر في خفايا نفسه الأمارة بالسوء توقظ العديد من الضمائر التي لعلها كانت في سبات عميق أو في غيبوبة طال أمدها.

KİTAP SARAYI
كتاب سراي

نُسخة إلكترونية
مزيدة ومنقحة

الشريد

رواية فِكْر

جعفر الوردي



يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الكاتب

الطبعة الأولى
٢٠١٨ م – ١٤٣٩ هـ
جميع الحقوق محفوظة للكاتب
gafrwrd@me.com

يُطلب من
كتاب سراي
تركيا – إسطنبول – الفاتح – جانب مسجد الخرقة الشريفة
إيميل: sarayikitap@gmail.com
جوال: 00905340558303

hırka-i şerif mahallesi, keçeciler cad, 12b
faith / Istanbul / Turkey

KİTAP SARAYI
كتاب سراي

هذا الكتاب مليءٌ بالأسئلة

لكنك لن تجد فيه علامة استفهام

واحدة...!

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة

مقدمة

لقد كان الشريد يجول في خافقه متأجج الأسئلة
متوقّد الأفكار
كان الشريد حيًّا منذ زمن طويل
يسعى ويجوب بروحه عالمًا واسعًا وفضاء كبيرًا

اليوم أخرج الشريد بعض ما لديه من عواصف
لقد عبّر عن أشياء تتوارد عليه في الليل والنهار
هذا الشريد وجدته منذ ثلاثة عشر سنة
صحبته في حله وترحاله
ومشيت معه في أصعب حالاته
وأحسنها
رافقته ولازمته ملازمة تامة

جميع الحقوق محفوظة

كان يسأل كثيرًا
ولا يحب أن يسمع أحدٌ أسئلته
يحكي كثيرًا
ويكره أن يسمع أحدٌ صوته
لقد كان الشريد متخمر الأفكار
بئرًا من الصمت
لقد رأيت منه حالاتٍ غريبةً
وهياما غريبًا
وتناقضًا بين الظاهر والباطن
وفوارق بين الجسد والروح
رأيت روحه كثيرًا
وأنكرت أن تكون هذه الروح لهذا الجسد

الشريد لا ينافق
ولا يتلون بوجهين وثلاثة
إنه يحاول ألا تغطى روحه على جسده
فيكون مجنونًا
أو فاسقًا
أو كافرًا عند أحد

كان يصمت الشريد بالأيام والليالي
ويأبى أن يقول شيئًا
لقد قرر اليوم أن يسأل
أو يتحدث قليلا

أن يعبر عن سؤاله في هذا الوجود
في نفسه
في الإنسان
في الأرض

لا أدري هل سيكون لما قاله قبولا
أم يكون وبالا عليه
وهل سيتقبل الناس هذه الأسئلة من الشريد
ويعذرون انهدار النار في روحه

لا أدري كيف تجرأ الشريد وبث أسئلته
لكن على أية حال لقد قالها
ويريد أن يبديها للناس

ربما ألتقي هذا الشريد مرة أخرى
فأنقل عنه أسئلة جديدة
أو روحًا جديدة
أو جسدًا جديدًا
إنه يتجدد في كل يوم عدة مرات
ويتطور في نفسه مسافات كبيرة
ولكن كل ذلك لا يظهر على ظاهره
ولا يبدو على جسمه

إن هذا ما استطعت أن أنقله من خافق هذا المشرد
المرير
إن وجدت فيه شيئًا جيدًا وجديدًا وجميلا فتأمله
وإن لم يعجبك الشريد في شيء فاعذره
فذلك ما قاله وأبداه الشريد فحسب
ولا يطمح أن يكون نبيًّا
أو قديسًا
أو فاجرًا
أو كافرًا

كلنا ذلك الشريد الذي يبحث عن الحقيقة في
نفسه والوجود
ويسعى الليل والنهار في البحث والسؤال

خذ من الشريد ما صفا
واترك منه ما تكدر..

مشرّد في زمن صاحب

جميع الحقوق محفوظة

1

على شاطئ مرمرة
الذي يجذب كل سمكة مشردة
وسفينة مشردة
وباخرة مشردة
ويلفي إليه كل من فقد حبيبه
ويستقبل كل سائح لا يعرف وجهته
ولا يدري اتجاهه

الذين يحبون البحر كُثُر
وأكثرهم المشردون
المشردون يحبون البحر
لأنه الوحيد الذي يصغي إليهم
ولا يتكبر عليهم

جميع الحقوق محفوظة

رجل في الثلاثين من عمره
تعدى عمر المراهقة
ولم يبلغ سن الرشد

تجتمع عنده كثير من المفترقات
وتتفرق منه العديد من المختلفات
يفكر كثيرا في نفسه
ويتجادل مع كل ما يراه
صامت في أغلب وقته
ملّ التفكر منه
وملّ هو من تفكيره
وضجرت الأسئلة من حديث نفسه

يبيع في حديقته المفضلة
الخبز الشعبي "سميت"
مع كأس من الشاي التركي الدافئ
لأن اسطنبول لا تسمح لك
بشرب الشاي حارًا
ما أن تضع الكأس أمامك لدقائق معدودة إلا
ويصبح دافئًا من نسمات الهواء العليل

يستلهم هذا الشريد من البحر عمقه
ومن السماء اتساعها
ومن الأشجار حوله الصبر والصمت

يسير هذا الشريد كثيرًا
قدميه لا تدري ما الوجهة القادمة
لا يعرف أحد من أعضائه إلى أين يتجه
فقط عقله الذي لا يكل ولا يمل
هو الذي يعرف أين يذهب
وفي أحيان ليست بالقليلة
حتى عقله لا يعرف الوجهة
إنه يسير إلى حيث انتهى
ما هو الذي انتهى إليه
لا أعرف
الطريق، التفكر، الأسئلة ...
لا أدري أيها
لكنه يسير وينتهي حيثما انتهى

جميع الحقوق محفوظة



2

حدائق إسطنبول حية بالناس ليل نهار
الكل يزورها ويحبها
الفقير والغني
ومَن له هدف ومن ليس له هدف
والذي يحب والذي يكره

يحب هذا الشعب الخبز التركي "سميت"
وجبة إفطار شهية ومميزة
ووجبة خفيفة بين الوجبات الرئيسية

- أيها الشريد أعطني خبزًا وكأسًا من الشاي
بصمته المعتاد يلف الخبز بالورق
ويسكب الشاي بكأس مخصّرة

جميع الحقوق محفوظة

جلس هذا الرجل الذي يحكي شيبه الكثير
وتجاعيد وجهه تكاد تخبر عن كل هم نزل به
ورجفة يديه تضرب الزمن ضربًا

نظر إليه الشريد بعين مليئة بالأسئلة
لقد كان حاجز اللغة عائقا عن الدخول في تفاصيل
ذلك العجوز

وعندها لم يجد الشريد إلا نفسه ليسألها قائلا:
أيها القدر
ما جنيتَ عليّ
ولا جنيتُ عليك
إنما أنت مخلوق كما أنني مخلوق
وأنت مأمور كما أنني مأمور
ولا سلطة لك على ما تفعله
ولا خيار لك فيما تقوم به
ولا مشورة لك فيما تنفذه
ما أنت إلا عبد مأمور
تفعل ما يقال لك
وتنفذ ما يطلب منك
علامَ الناس تسبك وتلعنك
وهي لا تعرف عنك شيئًا
وأنت حليم رشيد

لا تأبه بما يقولون
ولا تلتفت لما يتململون
ولا تتأثر بما يفعلون
وكأنك لا تراهم أصلا
ولا تسمع لهم حسًّا أو ركْزًا
حقا إنك عظيم أيها القدر
والكثير الكثير في هذا الوجود مثلك
ولكننا لا ندري ولا نريد أن ندري

إننا عاجزون عن فهم ذواتنا
وعن إدراك أنفسنا
إننا أعجز من أن نغير طبعا سيئا فينا
أو خلقا رذيلا نعيشه
نتكلم فنندم
ونفعل فنندم
ونفكر فنندم
ما أتفه الإنسان عندما يحس نفسه حقيرًا بعيني رأسه
إنه لا ينتظر أن يشعر بحقارته في نفوس الآخرين
بل يكفيه ويغنيه أنه يشعر بحقارة نفسه هو..

جميع الحقوق محفوظة

3

قام الشريد على شاطئ البحر
متلفت يمنة ويسرة
وهو مندهش من هذا الفضاء الواسع
بالرغم من أنها ليست المرة الأولى
التي يرى فيها السماء
لكنه في كل مرة يندهش
كأنها المرة الأولى التي يرى فيه أفقا فسيحًا،

أيها الوجودُ الشاسع
وأيتها العوالمُ المتناثرة
والسمواتُ الكثيرة
والأرضون التي لا تُعلَم
ما أصغر جرمنا

وما أقل حجمنا
وما أكبر طغياننا
وأعظم مصيبتنا

إن الإنسان بكل ما يملكه من صغر في الخِلقة
وضعف في القدرة
لهُوَ أعتى المخلوقات
وأكثرها تجبرا وتطاولا على هذا الكون

إنه لا يفتأ يتدخل في السماء وما تحوي
وفي الأرض وما تحمل
يحشر أنفه في كل شيء
ما أعظم طغيانك
وما أكبر عصيانك
وما أدهى مصيبتك

لا يرى نفسه المخلوقة من أكثر الاشياء حقارة على
وجه الأرض
لا يرى تكوينه وأساسه
ماء مهينًا
وطينًا
ينسى كل ذلك ويغفل عن كل ما يحمله من ضعف
وهوان
ويجادل في كل شيء

ويريد أن يضع يده في كل شيء
حتى إنه اعتدى على الذات الإلهية بتصرفاته
إنه يحاول أن ينافسه تارة
وأن يتدخل في خلقه وصنعه
ويحاول أن يؤلف عنه القصص
ويشكك بوجوده أصلا
وينسب إليه ما يشاء من صفات وأفعال وزوجة
وأولاد...!

إنه الإنسان المعجز
والإنسان التافه
والإنسان المجرم
والإنسان المصلح
يتقمَّص كلَّ الصفات والأخلاق المتناقضة
ويتحكم بكل شيء في هذا الكون
لا شيء آخر يتحكم فيه إلا هو
سلبت القدرة من كل مخلوق في هذا الوجود
ووهبت له
سُلبت الإرادة من كل جماد وذي روح ووضعت عنده
لذلك سلم كل شيء بذاته
وسلم هو من كل شيء
ولكن لم يسلم منه شيء
حتى بنو جنسه لم يسلموا منه

إنه المخلوق الذي يشكر كلَّ أحد
يشكر الابنُ أمَّه وأباه
ويشكر العبد مولاه
ويشكر الأخ أخاه
ويشكر الموظف مديره
ويشكر الشعب رئيسه
ولكن هؤلاء البشر لا يشكرون اللّه أبدًا
ينسون أن يشكروا الذي وهب لهم الحياة والجمال
لا يشكرون الذي خلقهم ورزقهم وأعطاهم
إنهم يتمتعون بذاكرة قصيرة الأمد
لا تتجاوز حبة خردل
لذلك تجد الموظف يذعن لمديره
والشعب يأتمر لرئيسه
ويقدِّمون له آيات الحب والسلام
وإن هو تغير أو مات
أنزلوا عليه أصناف اللعنة وسيول الاتهام
لم تبق خصلة ميتة إلا أحيوها فيه
ولم يبق وصف قذر إلا ألصقوه فيه
ومَن أعجب من هذا المخلوق.!
لا أحد...!

4

يعترف هذا المخلوق -الإنسان- بكل فضيلة
صنعها بنو جنسه
ينبهر بالأبراج العالية
ويَشيد بالتقدم والحضارة المترفة
ويمجّد الأنظمة والقوانين الذي اخترعها
ثم يتكاثر أن يقول للخالق سبحانه...!

يستقلّ على نفسه أن يقول للصانع الذي أبدع كل
هذا الوجود:
شكرًا وحمدًا لك

إنه مخلوق لئيم
يمجّد قوانينه

ويحترم نظامه
ويستحقر كل أحد خالف هذا النظام والحقوق
أما عندما يتعلق الأمر بخالق الوجود
وموجد كل شيء
والصانع الأول
فإنه يشكك أصلا في وجوده
وأنه قادر أو أنه يستحق أن يثنى عليه أو يسمع له
لا يرى أبعد من مد عينيه
ولا يشم أقصى من مخاط أنفه
ولا يسمع أبعد من طبلة أذنه

إنك أيها الإنسان لست غافلا عن الخالق
الذي لا تراه بعيني رأسك الصغيرتين فحسب
ولست غافلا عن كل الأجرام السماوية
التي جلست ملايين السنين تطور اكتشافاتك
لتصل لرؤية جزء صغير منها فحسب
ولست غافلا عن هذه الأرض التي تعيش عليها
ولا ذلك البحر العظيم وما يحتويه من حيوات
كثيرة

لست غافلا عن كل تلك العظمة فقط،
إنك غافل عن نفسك وذاتك
غافل عن إدراك العمليات الهائلة
التي تجري في جسمك ليل نهار

وأنت لا تدري

غافل عن عينك التي تحوي شبكات وأوردة عظيمة
وانعكاسات ومرايا جليلة
غافل عن معدتك بديعة الصنع
التي تعبئها ليل نهار بشهواتك
غافل عن جسمك وعظيم صنعه وبديع إتقانه

لذلك طبيعي أن تكون غافلا عن الخالق الذي
أبدع كل شيء
وكل ذلك بحجة أنك لا تراه بعينك الصغيرتين
عينك التي لا تريك أبعد من بضعة أمتار
عينك التي لا تريك إلا من زاوية واحدة فقط
وتعمش بالليل
وترعش بالنهار
وتمرض لحبة غبار
ثم تحاكم الخالق القادر
الذي أبدع كل هذا الوجود على أساس منتظم
وبناء على قوانين دقيقة.!
أيّ تفاهة وصل إليها الإنسان بعد هذا كله...!

جميع الحقوق محفوظة

٥

مَن تخاطب أيها الشريد
- أنا...!
أخاطب الذي أقرب إلي مني
لا شك يسمعك

- بالطبع، بالطبع
هل تريد أن تخبرني بأنه يراني أيضا...!

- لا لا لم أقصد ذلك يا شريد، إنما كان قصدي أنه يسمعك بخطابك الجليل من داخل قلبك قبل أن تعبر عنه بحروف وألفاظ..
أكيد، لا شك في ذلك، إنه يخلق لك الألفاظ، ونية الكلام قبلها..

جميع الحقوق محفوظة

– ماذا تريد أن تقول للخالق العظيم يا شريد..
أقول له:
أيها الخالق القادر
يا من خلق أشياء كثيرة لا نعرفها
وعرّفتنا على شيء قليل جدًا منها
أعطيتنا القدرة التي حاربناك بها
وأعطيتنا الفكر الذي أبعدنا به كل المخلوقات عنك
وأعطيتنا الذكاء
فافتعلنا كل الدسائس للإيقاع بك والتحذير منك
أعطيتنا حس القدرة
وحس الإرادة
فسخرنا كل ذلك ضدك
وفي سبيل ألا يخطر لنا أنك موجود أصلا
فضلا عن أن نؤمن بك

هنالك سرٌّ عظيم وراء استتارك
وأنك لم تكشف لنا عن كنهك
أدخلتنا في شك كبير
وفي حيرة عميقة للبحث عنك
وأودعت في صنعتك كلها طرقًا وأسبابًا تدل عليك

لماذا لم تظهر هكذا بدون احتجاب
وتبدو كما أنت

ولا نقع في فخ الحيرة والجهل والإنكار
لا شك أنك أعلم منا
وأقدر على حل كل هذا الإبهام

كيف نراك أصلا
وبأي أداة وآلة نستطيع ذلك
هل هذه العينان الصغيرتان المحدودتان جدا
تستطيع أن تحُدك
وتحيط بك
وترسم كنهك
وتظهر تفاصيلك
لا شك أنها أقل شأنًا
وأضعف قدرة من ذلك
إنك تدخلنا باختبار عميق
وفي تحدٍّ مع الشك والشيطان
أنت المنتصر قطعًا
وأنت الغالب بلا ريب
لكننا نسأل فقط،
والسؤال محض معرفة

جميع الحقوق محفوظة

٦

- كن صبورا يا شريد، فأسئلتك تثور وتفور..
آه،
الصَّبر...!
إنه الصبور صاحب الصَّبر..

علّمنا أيها الخالق الكبير شيئا من صبرك
وحكمتك
إن الذي تراه منا شيء كبير وعظيم
إننا نستخدم كل ما وهبته لنا من قدرة وعلم وإرادة
لكي نحاربك
ولكي نضع العراقيل في طريق كل واحد يريد أن
يصل إليك
إننا ننفق كل أموالنا التي وهبتها لنا تفضلا منك،

جميع الحقوق محفوظة

ننفقها لكي نوصد كل طريق يؤدي إليك
ونشوّه كل حقيقة ربما يستدل بها أحد من الناس
على عظمتك

إننا نكذّب أبصارنا
ونخالف يقين قلوبنا ونفوسنا
ونحاربك أنت
لا أدري لماذا في الحقيقة
إننا لم نر منك إلا كل خير وفضل
ولكننا نحاربك،
إذا سألتني لماذا سأقول لك لا أدري،
ليس هناك مبرر مقنع عندنا...!
وليس ذلك ما يدهشني فقط.!
إن الذي يدهشني هو أنك تصبر علينا صبرًا
عظيما
وتكللنا بالنجاح مرة بعد أخرى
وتهبنا في كل يوم أجمل مما مضى

أعرف أننا لسنا مثلك
ولا نشبهك في شيء
ولكن علّمنا ولو شيئًا قليلا من هذا الصبر

أيعقل أن نمارس كل هذا الذي نمارسه حقدًا لك
وكيدًا بك

ومكرًا وخديعة
ثم تهبنا ما هو أجمل لنا في حياتنا
وتوسع برزقنا أكثر فأكثر...!
هل حقا إنك تعاقبنا بهذه النعم!

نحن في الحقيقة مسرورون جدا بما نفعله
ومسرورون أكثر بهذه النعم التي تهديها لنا
ربما لأننا نعتقد أنها من كسبنا وكدّنا وفِعلنا نحن
فقط وأنت لا علاقة لك بها
أو لأننا نعتقد أنها من عادات الطبيعة
وجريان الأيام،
ولا دخل لك بها أنت
لكن في الحقيقة أنت تعلم أنها منك وحدك
رغم كل الذي تراه وتسمعه من ممارساتنا في
محاربتك والصد عنك

علّمنا ولو شيئا قليلا من صبرك هذا
اهدنا هذا الصبر لكيلا يضيق صبرنا
عن أصغر فعل
وأتفه شيء في هذا الوجود

علّمنا شيئًا من حكمتك التي نراها في الليل والنهار
نشاهدها في كل حركة وسكنة في هذا العالم
الواسع

وفي هذا الفضاء الشاسع
هذه الحكمة التي ألّفت بين قلوب الناس
وجعلت من الكون الواسع مدرسة كبيرة عظيمة
جعلت في كل إشراقة شمس
وحركة فلك
ودوران نجم،
جعلت من ذلك كلّه ميقاتًا دقيقًا
وصَنعة فائقة

علّمنا شيئًا من هذه الحكمة في صبرك
وفي فعلك
وفي خلقك
وفي وجودك
كل شيء من حولنا ينطق حكمة وإتقانا
ونحن نتعلم القليل لأن نفوسنا تتكبر
أنت هبنا وعلّمنا رغما عنها...!

جميع الحقوق محفوظة

7

اتكأ الشريد على كرسي خشبي
ووضع ثقله وهمَّه عليه
– يا شريد، مالك تضع ثقل الكون بين خافقيك..
الكون أكبر يا هذا وأعظم وأبدع

– شرد ساعة من الزمن وقال مع تنهيدة طويلة:
أيها الكون العظيم
أي شيء فيك أخاطب
وأي مكان إليك أتوجه
كلك تنبض بالحياة
ونحن نقيس وجودك على وجود كل واحد فينا
يا لتفاهتنا
إنني أنا أقيس وجودك وظهورك من أول يوم وعيت

فيه
حتى ليس من أول يوم ولدت فيه
فذلك لا أعترف لك به

إنني لا أراك –أيها الكون العظيم- إلا منذ سنوات قليلة فائتة
وسوف تنتهي عندي ليس فقط عند انتهاء حياتي
بل عند أي مشكلة صغيرة
أو عند أي كدر في المزاج والهوى
سوف تنتهي من مظهري
وتغيب عن خاطري

هل حقا هذا هو قدَرك أنت
أم أنه فقط قدَرك عندي أنا لأنني تافه، بل وتافه جدًا
لم أقسُك أنت فقط على ضعفي وصغري،
إنني أَقيس الخالق على مبادئي
وعلى قوانيني
وحسب توقعاتي

أطلب منه مثلا أن يريني كيف يفعل
أطلب منه أن يصنع لي طعامًا ومائدة متنوعة من الملذات والأشربة
أقيّمه على حسب ما يُخرجه لي من ثوم وبصل وعدس

هذا أنا
لأنني أنظر إلى كل هذه العظمة من عين صغيرة
ومن فكر ضيق
أعرف أنني تافه لذلك لا تقل لي إنك تافه...!



جميع الحقوق محفوظة

٤

الليل يا شريد
الصفاء والسكون والسكوت..
- نعم الليل.. أخاطبه فيسمعني..

أيها الكون أخاطب فيك الليل الذي يهديني هذا الصفاء معك
أخاطب فيك هذا الظلام الحالك
وهذه النجوم التي لا تظهر إلا فيه
كيف تتغير الأشياء من نهار مشرق مبهر
إلى ليل فاحم مظلم
تتغير فيك حتى نفسي ومشاعري وأحاسيسي
يتغير فيك أيها الليل حبي وبغضي
الذي أبغضه في النهار أحبه في الليل

جميع الحقوق محفوظة

والذي أهجره صباحا أتسلى معه مساء

أيها الليل
لقد دخلتَ إلى كل أسراري
واستطعت البحث في أعماقها
فتحت مواجعي التي تتخفى في طيات الألم الدفين
حتى ذلك المرض الكامن في عظامي تكاد تنكشه
إذا جن ظلامك

وزائرتي كأن بها حياء
فليس تزور إلا في الظلام

بذلت لها المطارف والحشايا
فعافتها وباتت في عظامي
(المتنبي)

مالَك ولهذه الاشياء أيها الليل
وماذا تريد من ورائها
كن واضحًا مثل النهار
كن صريحًا مثل الصباح
اترك عنك التخفي
ودع عنك التستر

كم شكا لك الناس مواجعهم

وكم سهرت فيك مضاجعهم

الليل كتمان العاشقين
وفضيحة المحبين
وحنين الوالهين
على أنجمه تُعلّق آمال الساهرين
وفي قمره تتشاكل الوجوه
وتتعارك المقل

أما أنت أيها الإنسان
فقد اغتلت هذا الليل الساكن
وتجرأت على صمته المطبق
في الليل تفور شهواتك
وتضج حيوانيتك
لا تهدأ فيه كما يفعل هذا الكون الصاخب
كل شياطينك تنطلق
وتجعل من سكونه صخبًا
ومن هدوئه غضبا
تكدر على الحالمين مناماتهم
وعلى سكون الكون تفكره العميق
وعلى رحمانية الليل إيمانها

الليل أعز من أن ينتهك
وأجمل أنيس

وأحلى سامر
كف أذاك عن هذا الليل
وأبعد شرك عنه
واكتفِ بما أحدثته للنهار من فساد
ولا تتجاوز أكثر من ذلك.



جميع الحقوق محفوظة

٩

- **ماذا** كنت تريد أن تسألني يا شريد قبل قليل..
سأسأل نفسي قبل أن أسألك:

ماذا أعرف عن نفسي
وماذا تعرف عني
هل التصاقنا الدائم شدة قرب
أم شدة حجاب
وهل أنا أكثر معرفة بها من أيّ أحد

ماذا تخفي هذه النفس العجيبة
ولماذا هي ملعونة
ولماذا كل هموم الناس تنزل بها
وكل شتائم الأديان تنصب عليها

جميع الحقوق محفوظة

تارة خبيثة
وتارة لئيمة
وتارة آمرة بالسوء

من أي شيء مكونة
وما سرها
وما كنهها
وما خفاياها العظيمة

هذه النفس التي تفكر كثيرًا
وتخطط سرا
وتدرس الناس في الغيب
وتظهر القليل جدًا مما تبطنه
لا يمكن بسهولة معرفة ما هي عليه
ولا يستهدى إليها بالهين
ولماذا إذا عرفتها أيها الإنسان عرفت ربك
فهل هي تنافس الخالق في الوجود
وهل هي التي أمرت فرعون بالربوبية
وإبليس بالاستكبار
وقارون بالطغيان

وهل نفوسنا مؤهلة لتفعل مثلما فعل هؤلاء أيضًا!

ما الذي يمنعها إذن من فعل ذلك وادعاء ذلك!

هل تنتظر الفرصة السانحة لكي تقول أنا الرب الأعلى
وهل تترقب موعدا معينا
لتقول للخالق ومن أنت حتى أسجد لك وأصلي لك
كيف تمسكها عن ذلك
وما الطريق والسبيل الذي يعينك على التحكم بها
وهل أنا أتحكم بها
أم هي تتحكم بي

ما الفرق أصلا بيني أنا وبين نفسي
وهل نفسي شيء
وأنا شيء آخر
أم أننا شيء واحد
وإذا كنا شيئًا واحدًا

فكيف أُنكِر ما أفعله
وكيف أعترِض على ما أقوم به
وكيف أتوقع المصائب التي سأفعلها ثم لا أمتنع عنها

وإذا كانت هي شيء آخر غيري أنا
فأين هي
وما شكلها
وأين تسكن

جميع الحقوق محفوظة

وهل هي حقيقة أم خيال
وهل هي واقع أم غيب!

كيف أفرّق ما بيني وبينها
وكيف أحاربها أو أصلحها
وأين هي وما هي
علمني أيها الخالق شيئًا من حكمتك
وصبرك العظيم

جميع الحقوق محفوظة



10

يقولون

الروح
العقل
القلب
النفس

تعيش بروحك
وتقوم بنفسك
وتفكر بعقلك
وتشعر بقلبك

الموصوف مجهول والصفة مجهولة أيضا
الروح معنوية

جميع الحقوق محفوظة

والحياة لا محسوسة ولا ملموسة
والنفس مجهولة

هل يوجد في جسدك الإكلينيكي عضو اسمه نفس
أو روح أو عقل أو قلب

هناك قلب يوزع الدم
لا قلب يشعر ويحب ويكره
هناك مخ يوزع الأعصاب
لا مخ يخطط ويحكم وينظّر

ما هذا المجهول وكيف نهتدي إليه ونغوص في
أعماقه
وكيف نهتدي فعلا للتحكم فيه
هل هو شيء غيبي من عند الخالق يتحكم بنا كما
رُسم له وقدر عليه
أم هي أشياء مخلوقة
وفي أيدينا حرية التحكم بها

من يجيب عن كل هذا الشيء في دواخلنا
هل نحن نسأل ونحن نجيب
ونحن نفعل وينفعل بنا
ونحن نقضي ويقضى علينا
هل نحن كل شيء في هذا العالم العظيم!

ولكن الحقيقة أننا لسنا بشيء أبدًا
نحن من خرّبنا كل شيء
تدخلنا في كل شيء
ونغصنا حتى على الحيتان في قعر البحر
وعلى الوحوش في جوف الصحراء
نغصنا عليهم عيشتهم
وأخضعناهم لتجاربنا
ومارسنا ضدهم كل أنواع التسلية تارة
والأكل تارة أخرى

هل نستحق العيش في هذا الكون العظيم
هل تستعيذ المخلوقات التي تجري بقدر وأجل
معلوم من هذا الإنسان المخرّب
هل تسأل الخالق أن يقوّض صلاحياته
ويعجل بهلاكه ويخلصها من طغيانه وشره

ألا يقولون أيضًا إن الإنسان أضاف إضافات نوعية
في هذا الكون
لقد سعى إلى اكتشاف الكثير من خفاياه وأسراره
لقد استخدم كل ما أتيح له من قدرات ومقدرات
في الوصول إلى الفضول

من يقول ذلك

هل نطق الحجر بذلك
هل قالت السماوات والأرض هذه المدحة
أم هل اعترف بذلك الخالق لهذا الكون
وشهد على أن الإنسان قام على أكمل وجه

من قال ذلك
لعل الإنسان نفسه هو من اخترع مدحة ذاته بذاته
لم يجد الإنسان في هذا الكون العظيم
والفضاء الكبير
من يوجه له كلمة شكر
لذلك اختلق هذه المقولة على نفسه وقال بذلك

ومن قال إنه لا يستحق ذلك
ربما يستحق كل هذا الثناء على ما قدم
هناك يوم يكون فيه حَكَم عدل
ويقضي بين الإنسان وبين الكون
ويؤخذ لكل واحد نصيبه وقدره
ويرد لكل أحد حقه ومستحقه
وأظن الإنسان هو الخاسر
لأنه فضولي جشع ونحس
لا يحب الخير إلا لذاته الخاصة
حتى إنه ليكره الخير لبني جنسه
ويسعى دائما لاختراع أعتى الاسلحة والمواد
السامة التي يقتل بها بني جنسه.

11

جميع الحقوق محفوظة

هل تتقم على الإنسان يا شريد
هل تكره الإنسان أنت

– من قال لك أنني أحقد عليه
ألستَ إنسانا يا شريد
ها أنت تشتم الإنسان وتصفه بأسوأ ما فيه
ومَن مِن المخلوقات لا سوء فيه
كل مخلوق له سوء وله حُسن.

– أنا أقصد بهذه الاتهامات القوية
الإنسان اللئيم
المدمر
الساقط من أعين البشرية والخلق..

- أظنك تريد أن تقول له شيئًا..
نعم أريد أن أقول له أشياء كثيرة:
أيها الإنسان
ماذا تركت لم تنتهكه
حتى وصل بلاؤك وشرُّك لنفسك
لقد اخترع الإنسان أقذر الأسلحة الفتاكة
وصنع أقوى الآلات التي يسعى بها لتدمير كل
مخلوق على هذا الكون
وأول أعدائه هو نفسه
بنو جنسه
هم أعداؤه الحقيقيون
وهم الذين يكتوون بنار شره وحقده وغيه

لماذا يفعل الإنسان كل هذا الشيء
ولأي غرض
وما الذي سيجنيه من كل ذلك
هل يريد أن يكون الرب الأعلى
الذي تنادي بذلك نفسه
أم يريد أن يصل للتحكم والسيطرة على الخالق
حتى يأخذ منه الدور
ويمارس كافة صلاحياته
ولكن أليس هناك ما يهدد الإنسان
أليس هناك لكل إنسان نهاية سيصير إليها حتمًا

سيموت بعد عشر أو عشرين أو خمسين أو تسعين سنة
وماذا بعد..

من أوّل ما يبلغ الإنسان
تتنامى كيانات الشر في داخله
أصبح عمره عشرين سنة
وأطول عمر وصل إليه مائة سنة تقريبًا
القوة التي يتمتع بها في كل هذا العمر هي ستون سنة
هل تستحق هذه الستّون أن يخرب بيت العالم
ويدمر الكون من أجل أن يكون فيها سيّدًا مطاعًا
أو مالكا عظيما
هل تستحق هذه السنون القليلة
كلَّ هذا الخراب للكون
وكل هذه الأذية للمخلوقات
حتى يلبي نزوته ويحقق رغبته
ويملأ شهوته

ولمن سيترك كل هذا المجد الذي بناه
وكل الهيمنة التي حققها
وكل الأوسمة الخداعة التي ملأ بها جانبيه
لمن...!

هل ستحكم روحه بعد الموت
أم سيصبح طعامًا لأحقر مخلوق وأصغره في هذا الكون
للدود
طعام للدود
ألا يتفكر في نفسه وهو يعاني من إخراج فضلاته وينظر إلى تفاهته وضحالته
ألا يخجل هذا الإنسان عندما يسمع من نفسه أصوات القذارة
والنجاسة تتناثر من حوله
ثم يخرج ببهرجته وعنفوانه وطيب رائحته أمام الناس
ما أتفهه
وأغفله عن نفسه

حقوق محفوظة

12

الحب

البغض
النور
الظلام
الليل
النهار
الأمام
الوراء
القبح
الجمال
الوجود
العدم
كل هذه التناقضات

جميع الحقوق محفوظة

وهذه المختلفات
ما حقيقتها
هل انتفاء الضدِّ يثبت وجود الآخر
ومَن الأول في الوجود
ومن هو الآخر

هل هناك نهار فقط
وذهاب النهار يسمّى ليلا
وإلا لا وجود لليل في ذاته
بل هو مجرد انسحاب النهار من الوجود!

وهل الأصل المحبة وعند انعدامها يكون البغض
والكره
هل للمحبة حقيقة
أو للكره وجود
أم هي مجرد أسماء أطلقناها على الشيء وضده
نميز بها بين ما كان وما سيكون

وما هو عليه الحال الآن
من يفتي لنا بهذا
هل الإنسان المتفلسف
صاحب الجدل الطويل
يستطيع أن يحل هذه الفوارق
أم أن جدله وفلسفته لم تجد حلا لمثل هذه الأسئلة

هل مثل هذه التناقضات وجدت لإثبات عجزنا عن
إدراك معنى لأبسط الأشياء
وتعجيزا لنا
أم هي امتحان وتحد لنا

هذا ليس هو الشيء الوحيد في هذا الكون الذي لا
نعرف كنهه
ولا ندرك حكمته

إنما ندرك حكمته ونعرف مقصده هو شيء قليل
جدا من هذا الكون
وليس شرطا أن نعرف حكمة الأشياء حتى نؤمن
بها
وإلا لما آمنا بشيء على الإطلاق!

جميع الحقوق محفوظة



13

إياك أخاطب أيّها الشريد الأرضي
أيها الإنسان الجسماني الوضيع
الذي تميل إلى الأرض
وتركن إلى الذُّل
أيها الإنسان الذي لا يفكر إلا بشهواته وملذاته
وحيوانيته
الإنسان الأرضي
كل ما يهمك كيف تعاقر الخمرة
وتطيل السهرة
وتشبع نفسك

تبحث عن الغانيات وبائعات الهوى
تريد أن تشتري الهوى من أجسادهن

جميع الحقوق محفوظة

تبحث طويلا عن إطفاء شهوتك
وغرس ملذاتك في أي رقعة شاهدتها

تفكر في أماكن قذارتك
ومَوَاطن نزوتك
لا تتمايز عن الدواب في شيء
قد تكون الدواب أحسن حالا منك
فهي تغادر فريستها فور إطفاء شهوتها
أما أنت كالمجنون
لا يهدأ لك روع
ولا تشبع لك نفس
إذا امتلأت معدتك من الخمر
طلب عقلك مزيدا من السكر
وإن سكر عقلك طلبت مزيدا من النزوة الحيوانية
وهكذا حتى يصبح وجهك على الأرض
وحالك يعجز اللسان والوصف عن تمثيله

أيها الإنسان الشهواني
الذي تسافر من قارة لأخرى لتشبع نزواتك
الجديدة
وتقطع الأراضي والأميال تبحث عن سكرة أخرى
أي حياة تعيشها
وأي حال أنت عليها

ماذا تريد
وإلى أين ستصل
سوأتك أكبر مشروع لديك في التاريخ
وبطنك أعظم قِربة تسارع في ملئها بكل قاذورة
وعقلك مرتع للدناءات
هل أنت واعٍ لما تفعله
أم أنك في غيبة عن الأمر

تلهث من بيت إلى بيت
ومن ملهى لآخر
ومن امرأة إلى ثانية
وهكذا حالك في الليل والنهار

وتمر الليالي والأيام
وترى الأحداث من حولك لا تراها
كل شيء يتغير
الكون يقصر عمره
والناس تطول أعمارها
كل موجود يقتطع منه الزمان عمرًا
الزمان يقصر وعمرنا يطول
وهكذا هي الحياة
تبادل منافع وأدوار
ولكنك لا تعي كل ذلك
ولا تشعر بكل هذا

المال هدفك
فهو الذي يجلب لك المتعة
وهو الذي يعلي شأنك بين الناس
آخ عليك منك

ما هذا المال
ربما تراه كل شيء في هذا الوجود
حتى إذا تذكرت أن لك خالقًا وربًّا
فإنك تسارع أن تدعوه بالتوسعة في مالك
لا تذكره إلا إذا قلّ مالك
وأفلس جيبك
تصبح ذليلا عند بابه
وليس عند بابه فحسب
حتى عند باب الناس
تصبح ذليلا
تترنح على أكفهم
لعلهم يطفئون لوعة رغبتك
ويمنون عليك ببعض المال
أوراق ملونة
وأرقام شكلية
هذا هو المال
صحيح أنه يجلب لك كل شيء
نعم كل شيء...!

حقوق محفوظة

حتى التعاسة يجلبها لك
وحتى الهم والغم يسوقه إليك هذا المال

أيها الإنسان الأرضي
قيمتك ما تلبس وما تركب
وما تشري وما تشرب
حتى جواربك تحاول جاهدًا أن تُظهِر نوعها
ومكانها الذي اشتريتها منه
ليعلو قدرُك أمام أقرانك
نعم حتى جزمتك تحاول كثيرًا أن تبدي نوعها لكي
تتحسن شخصيتك
هذا ما أردته لنفسك
أن تعلو من جزمتك
وأن ترتفع من جواربك
يهمك كثيرًا أنواع المحلات
واسم الماركات
كلها أقمشة خيط عليها الاسم الفلاني
لكي يستعبدوا الأرضيين أمثالك
ويسترقّوا بها صغار البشر

جميع الحقوق محفوظة

14

جميع الحقوق محفوظة

يا شريد
هذا أنت أرضيًا
كيف بك لو كنت سماويًا

أيها الإنسان الروحاني
الإنسان الرباني
الذي تسمو على كل شيء
ولا ترى شيئًا في هذا الكون إلا نفسك
بل أظنك لقد غبت وشردت حتى عن نفسك
لقد تجاوزت المحسوس
وعلوت على كل ما هو حولك

أيها الإنسان السماوي

الذي لا يملكه شيء
ولا يستعبده شيء
ولا يفتقر ويحتاج إلى شيء
مكتمل بذاته عن كل شيءٍ
وليس بحاجة إلى أن يُعرَف بشيء

أيها السماوي الجليل
كيف ترى هذا الوجود
وكيف تنظر إلى كل هذا الكون
ومن نحن في نظرك
وكيف لنا أن نعرف عنك أكثر

أيها السّماوي المتفرد
روحك تكشف الأسرار
وعينك ترى في كل شيء عبرة
فكرك يخلق من كل شيء آية
ونورك يشرق على عينك
فتنقلب الحقائق الظاهرة إلى معانٍ سامية

أيها الربّانيّ المتميز
هل بينك وبين الخالق أي علاقة خاصة
إنك تشهده في كل محفل
وتراه في كل تفصيل
وتوحده في كل ذرّة

كيف اهتديت إليه
وكيف وصلت له
كيف انكشفت لروحك معانيه

هل هناك فاعل واحد في الكون
أم كلٌّ يفعل ما يريد كيفما يريد

كيف هي الأقدار
وكيف هي الآجال والأعمال

يا أيها السّماوي العالي
سلامًا عليك في المهتدين
ورحمةً عليك في الواصلين

جميع الحقوق محفوظة



15

يا شريد
ماذا تقول في هذه الصنعة الفريدة
العصفور الموسيقي
الذي يغني الكون لحنًا
ويعزفه أرجوزة

أيها العصفور المرح
إنني أسمع صوتك الجميل
وأراقب لحنك المذهل
هل هذه مهمتك في الحياة
من الذي يتمتع بك
وكيف خُلقت أنت

جميع الحقوق محفوظة

لأجل من خُلقت
هل صوتك للكون كله
هل يتمتع بهذا اللحن الشجيّ كل من يسمعك

إن عظمة التفاصيل في هذا الكون البديع
لم تأتِ محض صدفة
أو توارث من أجيال سابقة
وليس هي حركات لليل والنهار
تُولد وتُنتج أشياء من ذات نفسها

وهل يعقل أن يكون شيء بهذا الإبداع الخلقي
وبهذه التفاصيل المهيبة
وبكل تلك الدقة المتناهية
أن يكون ذلك محض صدفة لا مؤثر فيها
ولا موجد لها
أيّ عقل يمكنه أن يصدق مثل هذه الخرافة
السخيفة

إن الذين يشككون بهذا الوجود وما يحتوي من
إبداع مهيب
إنه يضحكون على أنفسهم
ويستحقرون ذواتهم
قبل أن يستخفوا بغيرهم

(فاستخف قومه فأطاعوه...!)
إن الذي يريد أن يحجب الحق
لا يمكنه أن يأتي بدليل له حجة وقوة بيان
بل كل ما في الأمر هو استخفاف للعقل
واستهتار بالحق
من منطلق عبثي
فيخيل لأولئك الناس أن هذا الاستخفاف هو حجة قوية
وبرهان ساطع
وفي الحقيقة هو استخفاف بهذه العقول السطحية
ليس إلا...!

ومن قال لك أيها العصفور الجميل
إن يد هذا الإنسان لم تصل إلى الغابات
لقد وصل شرها إلى هناك أيضًا
إنه يقطع أشجارها
ويقص أعناقها
ويشتت جمعها
ويفرق جمالها
لقد بَقِيَت مئات السنين تجمع بعضها حتى تبني
عائلة كبيرة
يأتي الإنسان ويقطع أوصالها
لأجل ماذا!
لأجل أن يكسب منها درهمًا أو درهمين

إنه يبني مجده كما قلت سابقًا من دمار هذا الكون
يُحيى مملكته في دفن الآخرين
لا يروق له بال
إلا إذا صعد على أكتاف هذا الكون
وإلا إذا بنى له قمة من ركام المخلوقات

حوّل الغابات الجميلة إلى أماكن خاوية
ليصنع منها ترفه
ويبني منها ثروته.



جميع الحقوق محفوظة

16

وماذا عن عينيك يا شريد
صغيرَتَيِ الحجم
عظيمتي المعنى والصنع

أيتها العين العظيمة
بديعة الصنع
عظيمة الخلقة
رائدة في التفرد والمزايا
حجمها صغير
ولكننا نتحير يومًا بعد يوم من وصفها ودرسها

كيف تعكس الأشياء

جميع الحقوق محفوظة

وكيف تبصرها
وكيف تقوى
وكيف تضعف

أبدع صنعك الخالق المتفرد
ولكن الإنسان الأرضي
ينسى كل تلك الميزات
ويوجهك إلى المزابل والقاذورات
يذهب بك إلى أسوأ ما يمكن أن يشاهد أو يفكر

أعرف أنكِ مستاءةٌ من هذا الأرضي المتوحش
الذي يلهث وراء شهوته
ويركض نحو غرائزه الأرضية الساقطة
وأنك تنزفين بكاء على ما يجبرك عليه
من مشاهدة ومطالعة
بدلا من أن يبصر بك الشمس ونورها
والقمر وضوءَه
والنجوم وتلألؤَها
والفلك ودروبه

بدلا من أن يكتشف بك جمال الكون
وسعة خلقه
وعظمة إنشائه
إنه يحرمك من كل لذة حقيقية

ومن كل أُنْسٍ حقيقي

إنه الإنسان الذي يمنعك من متعتك
ويصدك عما خلقت من أجله
تتضايقين من فوات كل هذا الجمال عليك
ومن هذه الرزايا التي تحملينها يومًا بعد يوم
تحبين أن تتفكري في خلق السماوات الكبيرة
وتدرسي الأرضين الهائلة

ملايين السنين مضت
ومثلها قد يأتي كذلك
وأنت بشوق كبير إلى كل هذا التفكر
وفي حسرة كبيرة إلى أن تشاهدي كل ذلك
لا تريدين أن تفوتك لحظة جمال
ولا برهة تفكر

ولكن ماذا نفعل مع هذا الإنسان
الذي حرمك كل هذا الجمال
وأصر ويصر على ما هو عليه من حال مزرٍ

اصبري وحاولي أن تعينيه على نفسه
حاولي أن تذكريه دائمًا بأن مكانَكِ أرقى
وبأن مهامَكِ أكفأ من ذلك بكثير..

17

الروح يا شريد

الروح

تَسامَي تَسامَي
تسامي أيها الروح البديعة
أيتها المعنى الغيبي
أيتها المجهول الحقيقي
والحاضر الغائب
والمشاهد معنىً

أيها الروح السائرة في بقاع الأرض

جميع الحقوق محفوظة

الطائرة من منفى لمنفى
كيف تمرين مرور النسيم من كل شيء
وكيف تملئين كلَّ هذا الفراغ ولا يمتلئ بك
وكيف تسيرين بين أرجاء الأرض
وكأنه حبة حمصة بالنسبة إليك

كل قريب لك بعيد
وكل قديم حاضر
وكل آت آنٍ عندك
تستلهمين الآتي
وتذكرين الماضي البعيد كثيرًا
كيف تعيشين معي وعني
وكيف أقدر أن أحس بك وأحس عنك

أيتها الروح العجيبة
هل حياة الجسد قيدٌ لك
وموته انطلاقة كبرى

كيف تحيَينَ مع جسد كثيف أرضي
وأنت سماوية عالية
هل تتمنين كل يوم أن يذوب ويذوي هذا الجسد
كي تنطلقي في فضائك!!

أيتها الروح الغيبية

كيف ترين الأشياء وتشاهدين الوقائع
وكيف تتذكرين كلّ هذا الكم الكبير من الزمان
البعيد

هل لك عقل وذاكرة وقلب
هل تشعرين كما الجسد
ما العلاقة بينك وبينك الجسد
هل صحبة ضرورية
والتزام مفروض بينكما
وهل أنت لي أنا
أم أنت شيء
وأنا شيء آخر
كيف أفرق بيني وبينك
وهل إذا جنيتُ أجني عليك أيضًا

هل تتألمين إذا تألمت
وتبكين إذا بكيت
وتسافرين إذا سافرت
كيف أكشف كنهك
وكيف أتعلم دروسًا عنك

أيتها الروح العجيبة
لا شك أنَّك غيب مجهول
وشيء خارج المعقول

أمر ليس بالمحسوس

هل منك حميد وقبيح
ومنك خيّر وشرير

كيف تعيشين بعد موتي
وهل تموتين مثلي
وهل تصاحبيني في قبري ووحدتي
أم تذهبين إلى مكان خاص بك

أين أنت الآن
وكيف أشعر بك
هل شهيقي وزفيري هو أنت
أم شيء يدل عليك
أم لا علاقة لك بكل ذلك

سلامًا أيتها الروح العظيمة

ولكن يا شريد
أقول لك:
كيف ندرك كل هذا الغموض
وكيف نصل إلى كل هذا المجهول
ومن يساعدنا
وهل يحق لنا أن نسأل

جميع الحقوق محفوظة

وهل يصح أن نفكر
أم نعيش كالبلهاء
وننشغل عن كل هذه الفلسفة
ونعيش عيشة العجائز

كيف نستطيع أن نفهم كل هذه الأسرار المكنونة
وكل هذه المعجزات الهائلة
من يجيبنا
وهل نكون مخطئين إذا لم ندركها ونعرفها
أم نكون مخطئين إذا غفلنا عنها
من يجيب عن تساؤلات غموضنا

من يفسر لنا كل هذا الكون العظيم
كيف خلق
ومتى خلق
وكيف سينتهي
ومتى سينتهي
ومن سينهيه
وإلى أين سيصير

ومن هناك في العالم الآتي
ومن كان في العوالم الماضية
ومن هنا الآن في عالمنا الحالي
وكم هي العوالم

هل كل هذه السماوات والأرضين فيها عوالم مثلنا
أم عالمنا هو حارتي وجاري والدكانة بجانب بيتي!

كيف نفكّر
وكيف نفسّر
وكيف نتدبر

أنت أيها الخالق العظيم
دلّنا على كل هذا
وأبصرنا بكل ذلك
واحلل عنا كل هذا اللبس
وأزل عنا كل ذلك الشك
واهدنا إلى ما تريده منا
ألست أنت الذي خلقتنا لما تريده أنت منا
لم نملك خيار وجودنا
ولا نملك خيار فنائنا
ولا نملك خيار حاضرنا ولا ماضينا
أنت أوجدتنا من لا شيء
وتُصيِّرُنا إلى لا شيء
وتريد منا كلَّ شيء

أنت وضعت القوانين
وهديت السنن والتراتيب
وأقمت الأنظمة والنواميس

كل ذلك لسبب أنت تدريه
ولغرض أنت أعلم به
لا نعلم إلا أقلَّ القليل عنك
وقمة معرفتنا بك هي حقيقة الجهل بك
وكلما ازددنا معرفة وعلمًا بك
ازدادت شدة جهلنا وغموضنا
ووصلنا إلى أبعد من نقطة الصفر

لأنك أعظم من أن تدرك
وأقدس من أن يحاط بك
وأكبر من أن نفسر كنهك
وأعلى من أن يوصل إلى حقيقتك..

جميع الحقوق محفوظة

18

جميع الحقوق محفوظة

لا تسألني يا شريد شيئًا
لا أعرف شيئًا
ولا أستطيع أن أجيب عن شيء

من أنت
ولماذا نحن
وإلى أين
وكيف سيكون
ومتى سيكون

أنت تخبرنا في كتبك المقدسة عن كل شيء

هل نصدق نحن هذا الشيء
ولماذا لا نصدق
ولماذا نجعل الشَّكَّ في كل شيء يأتي منك
وبالمقابل نؤمن بالتجربة إيمان اليقين
ونؤمن بأنفسنا أكثر من إيماننا بك

نثق بصناعاتنا
واختراعاتنا
وأعمالنا
وإذا جاءنا منك وعد
أو قول
أو أمر
نشكك فيه
ونشكك فيك أنت
لا نثق بك لأنك غيب
بحجة أنك غيب نتجاهل كل الحقائق
وكل الأشياء
ونبرر لأنفسنا إنكارك
ونبرر لذواتنا كل أهوائنا

نثق بقطعة الحديد الثقيلة على كف الريح
ولا نثق بأصغر وعد من وعودك
ولا أدنى شيء مما تحدثنا عنه
حتى رغيف الخبز وكأس الماء لا نثق بأنه سيأتينا

جميع الحقوق محفوظة

حتى ولو وعدتنا بذلك!

نؤمن بالتجارب والعلوم التجريبية
ولا نؤمن بعلم الغيب

يا شريد
ما هو الغيب

أليس ما وراء المحسوس
وما وراء المدرك
وما وراء المعلوم
وما وراء العقل والقلب
هل هو امتحان واختبار لهؤلاء الخلق كلهم

من منكم يؤمن بالمغيبات
المجهولات
غير المدركات
ولا المعلومات
ولا المتوقعات
إيمانًا قويًّا متينًا
كأنك تراه بعينيك
وتحسه بيديك
وتشعر به بقلبك
إيمانًا لا يقبل الشّكّ أو التردُّد

جميع الحقوق محفوظة

إيمانًا يقينيًا قطعيًا صارما

ما هذا الاختبار والامتحان القوي
والذي من المتوقع أن ينكره الإنسان
ويتفلسف بعقله وقدراته الضئيلة أن هذا غلط
منطقي
وغير صحيح علميًا ولا عقليًا

إنه الإنسان الغاوي الطاغي
الذي يقيس الخلق والخالق وعظمته
بعقله المحدود
وإدراكه الصغير
لا يؤمن هذا الإنسان إلا بشهواته
وإدراكاته
وأحاسيسه
ومن هو حتى يقيس كل شيء على ذاته ونفسه
إنه غاوٍ وطاغٍ وضئيل

إذا كانت الكرة الأرضية تعتبر من أصغر الأجرام
السماويَّة
وإذا كان هذا الفضاء سعته ملايين السنون
الضوئية
وإذا كانت الأرض بالنسبة لجرم وجسم الإنسان
تعتبر غير محدودة

وهائلة
فمَن هو هذا الإنسان
وماذا يشكل من كل هذا الوجود

كأس من الماء هو أكبر قضايا بعض الناس

الإنسان لو خرج عن نفسه إلى بضعة أمتار في الفضاء
فسيرى ضحالته الجرمية
هو بالنسبة للبيت الذي يسكنه أصغر من كرسي في الصَّالة
وهو يحسب أنَّ همَّه الصغير أكبر معضلة في التاريخ

قوانين الإنسان وفرضياته هي التي تحدد عنده سوداوية العالم ونضارته

فإذا حصل المراد مما يريد
جعل العالم أخضرَ ورّاقًا
وإذا تعسر عليه شيء صغير أصبح الكون مظلمًا حالكًا
يشعر بأن الخالق الذي خلقه لا يوجد عنده مخلوق إلا هو
وأن جميع أوامر هذا الخالق في خدمته

وأنه إذا غضب
سيلبيه الخالق على الفور
وينفذ له كل ما يريد

يظن هذا الإنسان أن مشاكل الكون كلها انحصرت
عنده
وأن كل قضايا الكون المهمة هي ما يهمه هو
ويزعجه على وجه التحديد
مسكين

إذا انكسر خاطره
أو غضب من أحد ما
فإنه يتربص به الليل والنهار بواقعة
كعاد وثمود
وينتظر صاعقة تحلّ عليه وعلى أهله
ظنًّا منه أنه المظلوم المستحق للنصر الآني
وأن الإله الخالق لا شغل له إلا هو
وينتظره ليلبيه على الفور

هذا الإنسان العجيب
إذا بحثت في خفاياه
تجد في ذمته ملايين الحقوق
وتجد في ملفه القانوني كل قضايا الاختلاس
والنفاق والكذب والتزوير

ويبرر ذلك بأنه جهد شخصيّ
وأنه حق حياتيّ
وأنه معذور
وأن الإله الخالق سيسامحه ويعفو عنه

مسكين هذا الإنسان
الذي لا يعي حقيقته
ولا يعرف قدره
ولا ينظر إلى الكون كما هو في الحقيقة
بل يرى الكون من ثقب جيبه
ومن فتحة دكانه
ومن سفرة طعامه..

جميع الحقوق محفوظة



19

جميع الحقوق محفوظة

يا شريد
ألا يكفي سؤالك
وبحثك

من أنت
وما معتقداتك
وما توجهاتك
الشعور بالامتلاك شعور جيد لكنه مخادع

ما دينك
ومن ربك

وكيف اعتقدت بذلك
وكيف توصلت إليه
وما دليلك
وما مرجحاتك العقلية والنقلية

وما أدراك أن الذي عليه أنت الآن هو الحقيقة المطلقة في الأرض والسماء
ومن قال لك إن الكون يظن كما تظن أنت
ومن أوهمك بأن الحق الذي تعتقد أنك وصلت إليه هو نفسه عند الإله الخالق
هل تستطيع أن تفكر بذلك
ولماذا تفكر بذلك أصلا
وهل تعتقد أن التفكير بهذا الشيء أمر كفري ومنكر وحرام في دينك

هل أدخلت التساؤل على ذاتك
أو على ما أنت عليه
هل أنت على اعتقاد جازم وصارم بما أنت عليه الآن
وهل أنت مقتنع كل القناعة عقليًا وفكريًا وذهنيًا وقلبيًا بذلك
أم أنّك تخاف أن تسأل حتى لا تقع في الريب!!

قل لي من هو ربك

ومن هو خالقك
وكيف توصلت إليه
وكيف تعرفت عليه
جرّد أحاسيسك من كل دخيل
ونمِّ الشعور اليقيني الذي خُلق فيك
وانطلق إلى هذا الكون الفسيح
والعالم الكبير

ابحث عن ربك
ابحث عن خالقك
قل له أين أنت
كيف سأجدك
وما الطريق الصحيح إليك

ألفُ ألفِ دين
وألف ألفَ شريعة
وألف ألف منهج
وألف ألف مذهب
وألف ألف قول
وألف ألف كتاب ونبي
من أنت من بينهم
وما صحة قولك واعتقادك بالنسبة لاعتقادهم
وما مرجحك عليهم
وما دليلك الداحض فيهم

جميع الحقوق محفوظة

لو جئت يومًا ما
وقال لك الإله الخالق
أيها العبد
من قال لك إن الذي كنت تعتقده بالدنيا هو الحق الحقيقي
ومن الذي قال لك إن إلهك الذي كنت تظنه أنا هو أنا

ماذا ستقول لو قال لك:
إن الدين والشريعة التي كنت تعيش فيها
وتدعو إليها كل حياتك هي ليست شريعتي
وليس ذلك هو ديني
ماذا ستجيبه عن كل عمل وفعل كنت تفعله لأجله

في كل ديانات الأرض
وكل مذاهب أهل الأرض
وكل شرائعهم
كلها تريد أن تصل لحقيقة واحدة
الإله الرب الخالق

كلهم يذبحون بعضًا من أجله
يكفِّرون بعضهم البعض من أجله
يسترقُّون بعضهم البعض من أجله

يبكون من أجله
يضحكون من أجله
يتناسلون من أجله
يأكلون ويشربون ويتزوجون من أجله
يهاجرون أطراف الأرض ومشارقها ومغاربها من أجله
يتوجهون إلى السماء يدعونه
ينبطحون إلى الأرض من أجله

كلهم جميعًا
من كل لهجات وأشكال العالم
ماذا سيقولون له إذا رأوه على الحقيقة
وبماذا سيجيبونه

كل طائفة ودين لديهم رسول وكتاب ورب
وكلها تقول أنت أيها المتّبِع لنا على المنهج الحق
لا يغرك الآخرون
ولا يحرفك عن نهجنا المدَّعون

يا شريد
إرادة البحث عن الإله هي إرادة جبلِّية
وطبيعة بشرية عبودية
هي نزعة صحيحة جليلة

وكلهم وصل إلى مراده حسب ما يراه ويعتقد

كل دين يقول نحن أبناء الإله وأحباؤه
الكون لنا ومن أجلنا
المخلوقات مسخَّرة لنا
ونحن أولى من كل موجود فيها
يتقاتلون من أجل إلههم
ويموتون في سبيله في كل دين

لكن مَن منهم على حق
ومن منهم سينتصر بالإله الصواب
ومن منهم سيفوز بالحقيقة المطلقة
وهل سيشفع لهم الإله جميعهم لأنهم كلهم يبحثون عنه
ويعيشون حياتهم من أجله
هل سيغفر لهم جميعًا لأنهم بذلوا كل وسعهم للوصول إليه

أم أنه صارم حازم
سيلقيهم في الدرك الأسفل جميعًا لأنهم أخطأوا
ولأنهم لم يصلوا إلى ما أراد منهم
وأنهم فشلوا بهذا الاختبار

وهل حقيقة هناك أحد منهم هو على الحق

وأنه سيفوز بالرضا وحده
ويُلقى الباقي في جهنم

كيف سيكون الفصل بينهم من الرب الحق!!

هل إذا دخل الطلاب إلى قاعة الامتحان
وبذل الجميع جهده وقدرته في الوصول إلى
الإجابة الصحية سينجحون جميعًا
أم أن الأستاذ لا يأبه بجهدهم وكدهم بل يأخذ
الناجحين وحدهم ويعطيهم الجائزة
ويلقي الآخرين الذي بذلوا كل جهدهم خارج
المدرسة
هل هذا هو العدل
قد يقولون إنه عدل في هذه الحالة
لأن الأستاذ قد أعطى للطلاب ما يوجههم للحقيقة
ولكن الذي فشل في الامتحان هو الطالب
لم يقرأ جيدًا ويدرس كما يجب

ولكن الرب قد تركهم في الأرض يجتهدون ويبحثون
عنه
ويسعون كل سعيهم إليه
سيقولون إنه أرسل رسلا وأنزل كتبًا
ويقول الذي لم يتأكد من صحة هذه المقولة
ما الذي يؤكد لي صحة رسالته

وصحة كتابه الذي يزعم أنه من الإله
أنا لم أره بعيني ولم تسمعه أذناي
ألا يحاسبني الإله إذا آمنت بشيء غير متأكد منه
ألا يعذبني لو أعطيت قلبي لمن لست بمتيقن به!!

كيف أدركه إذن
وكيف أصل إليه
وهل أكون معذورًا إذا وصلت إلى دين ما
وعشت عليه حياتي كلها
وأنا متيقّن بكل ما وهبه لي الإله من قدرة وقوة أنه هو الدين الحق
وأن الإله بهذا الدين هو هو على الحقيقة
وماذا أفعل إن كان ظني خاطئًا

كيف أخرج من هذه الدوامة العجيبة
وإنني لو آمنت بدين ولم أكن متيقنًا منه حقيقة
سيقول لي كيف آمنت بهذا الدين ولم تتأكد من أنه لي ومن أجلي
فعندها يحق له أن يرديني ويعذبني

كيف أفعل إذن
وهل أنا معذور عنده
ومن يعرف إلا هو

أيها العظيم الجليل
الإله المطلق الحق
دلنا عليك
وأرشدنا إليك
ووجهنا إليك ...!



جميع الحقوق محفوظة

20

لماذا تسأل أيها الشريد
وماذا تريد
وإلى أين ستصل
وهل يحق لك أن تسأل أصلا
ومن تسأل
ولم تسأل
وما هو الجواب على كل تساؤلاتك تلك

هل تريد زرع الأشواك من خلال هذا التساؤل
أم أنك تريد أن تستثير دواخل الناس

ومن سيجيب عن كل هذا التساؤل
وهل يفترض أن يكون لكل هذه الأسئلة أجوبة

جميع الحقوق محفوظة

حقيقية
ومن يقيّم صحة الأجوبة في حال وجودها
ومن يقيّم أصلا صحة سؤالك وأنه واقعي
ومنطقي

أيها الشريد
كفّ عن مثل هذا
وهل تعرف أنك أصبحت كافرًا في كثير من الأديان
والشرائع
لأنك طرحت أسئلة حساسة
ولأنك تطرقت إلى مَوَاطِن الخطر والخطأ
وما أدراك أن الأديان ستبيح دمك أيها الشريد
إلى من ستذهب
وبمن ستحتمي
هل ستنفعك أسئلتك في تبرير ما يجول في نفسك

تعتقد أن السؤال مقصود لذاته
ولا ترجو أية إجابة على أسئلتك
فقط سؤال ولا جواب

تريد أن تصل إلى الحيرة
وما هي الحيرة
هي أن تقع في الشك المطلق

لا
الشك شيء
والحيرة شيء آخر
أتعتقد أن الحيرة هي اليقين الحقيقي للإيمان
وأن الحيرة أقوى درجة
وأكبر منزلة من التصديق المطلق غير المشروط ولا المحدد
ما الحيرة
وما الشك إذن
وما الإيمان والتصديق

يا شريد
الحيرة: تردد واضطراب
وعدم التيقن من شيء على وجه الحقيقة
الحيرة عدم الوقوف والاعتماد على حالة واحدة
بل التردّد والتذبذب في حالات متناقضة ومتعددة
كيف إذن تكون الحيرة عين الحقيقة
وكمال الإيمان عند أولئك المتحيّرين

وأنت أيها الشريد
هل تؤكد هذه النظرية عندما تسأل ولا تجيب
من أنت أصلا أيها الإنسان
حتى تصل إلى اليقين الحقيقي
وما قدراتك العقلية والنفسية حتى تصل لحقيقة

الوجود والخالق!

ما أنت إلا ذرة في مهب الريح
ضعيف القدرات
محدود النظر والفكر
فإلى أي يقين تريد أن تصل
وأي حقيقة تريد أن تصل!
على ذلك إذن حيرتك هي عين وصولك
ودهشتك هي عين يقينك

إذا كان النبي الخليل المقرّب
قد قال لربه:
أرني كيف تحيي الموتى
وهو يرى اليقين والحق والخالق بكل عين في جسده
عين اليقين والحقيقة والشهود
ولايزال يريد أن يصل إلى الاطمئنان
ولم يصل إلا بعد أن سأل رؤية ذلك بعينَي رأسه

قل لي يا شريد
من أنت حتى تريد أن تصل إلى الحقيقة
وتقول إن التّصديق أعلى من الحيرة
الحيرة هي طريقك
الحيرة هي إيمانك

الحيرة هي حقيقتك

لا تقل للشريد إذن أجبني عن أسئلتك
ولا تطلب منه ألا يسأل

الشريد يريد الحيرة
لا يكتفي بما تراه أنت بين يديك من اليقينيات
التي تظنها حقيقة
وأنت لا تملك من العقل والفهم إلا شيئًا قليلا جدا
جدا

من أنت لتصل إلى الخالق العظيم
ومن أنت لتكتشف سره
ولتقع على كنهه

إذن
اصمت
واترك الشريد يسأل ويسأل ولا يكتفي
إنه لا يفتأ يسأل عن كل شيء
وأي شيء
ولا يقف عند شيء

اسأل أيها الشريد ولا تبال بما يقولون
ويكفي قول أحد المتحيرين:

جميع الحقوق محفوظة

"كلّ من حار وصل، والذي اهتدى انفصل" ...!

ولكن يا شريد
إذا كانت تلك الحيرة
فما الشك إذن

الشك: هو الوقوع بين الكذب والتصديق
والتّحير بين الحق والباطل
هذا بخلاف الحيرة
الحيرة أولها يقين وتصديق
وآخرها حيرة وذهول وتسليم
أما الشّكّ فهو الوقوف في المفترق
واستواء الحق والباطل
ولا يمكن الترجيح بينهم

وما اليقين إذن يا شريد
اليقين هو الوصول إلى الحقيقة
أي حقيقة
شيآن ليسا بمعلومين على الحقيقة
لا أنت ولا اليقين
أنت محدود مُؤطّر

الحقيقة هي أمر نسبي
حقيقة مَن

وكيف تحكم عليها بالحقيقة
ومن يرجحها على حقيقة غيرك!

اليقين إذن هو نسبي أيضًا
وكأنه إبرة بنج
وتخدير موضعي
لضعيفي القدرات
ومحدودي الفكر

لا أيها الشريد
اليقين هو ما توصلتْ إليه قدراتُنا بالإله
قدراتنا ليس حقيقية إلا بالوصول إلى الإله
أنه موجود
كامل وحقيقي
أما بقية الحقائق واليقينيات فلا نملك أي قدرة
لذلك

الناقص لا يدرك الكامل
الصغير لا يحيط بالكبير
الضعيف لا يتصور القوي
الجليل لا يساوي الحقير

إذن عن أي يقين تتحدث
لعلك تقصد ذلك اليقين الذي جئت به من كتابك

المقدس
أو نبيك المرسل

إذن يقين ليس منك
من شيء خارج عنك
ولذلك قلت لك أن الحيرة عين اليقين
وهي أساس التصديق...!



جميع الحقوق محفوظة

21

جميع الحقوق محفوظة

قال لي الشريد يوما:
من أنت
وكم عمرك

قلت له: أنا إنسان
وعمري لا أستطيع أن أحسبه
هل بما مرَّ عليَّ من وقت
أم بما أدركته من معانٍ
أم لا عُمُر لي

قال الشريد:

أيها الإنساني
ما هو الوقت
وهل تمر عليه أم يمر عليك
وهل تقطعه أنت
وهو ثابت
أم أنت ثابت وهو يقطعك ويمر عليك!

هل الوقت هو تقلب الليل والنهار
أم الساعات التي تم اخترعناها مؤخرًا!

ماذا تعرف عن الوقت
وماذا يعني لك الوقت
وهل يأكلك الدهر بالوقت
وكيف تكبر في السنين
وكيف تتجاوز سنة
ويتغير شكلك
من الذي يغيرك
مرور الوقت أو ثباتك على الأرض

متى خلق الوقت!
وكيف كان العالم قبل الوقت والزمن
وكيف يفسرون لنا عُمُر الأرض بعدد الزمن
وما أدراهم بأن الزمن كان منذ القدم
لعله لم يكن إلا من قريب..!

جميع الحقوق محفوظة

كيف كان العالم يعيش
وكيف كان يقيس لحظاته
وهل كان العالم يَهرَم
وهل كان يَقدَم
وهل كان يتجدَّد
أم أنَّ كلَّ ذلك لم يكن لأن الزَّمن لم يكن

وهل ارتباط القديم والحديث
والجديد والبالي كله بالزمن فقط!

ومتى سينتهي الزمن
وما مصير هذا الكون بعد الزمن
وهل مصيره هو ما كان قبل الزمن!

وعلى من يجري الزمن
على كل مخلوق
أم على مخلوقات دون أخرى!

لا شك عندي أيها الإنسان
أنّ الزَّمن لا يجري على الخالق
لأن الزمن أضعف وأصغر من أن يحيط به
أو يؤثر عليه
أو يحدّه ويؤطره

هل يعقل أن يجري الليل والنهار
على الرب الخالق المبدع
وهل يعقل أن ينتظر الرب الخالق الساعات ويعد
الوقت
كلا
ولا شك في أنه كلا..!

إذن كيف تفهم الوقت
قل لي
وكيف يمرُّ عليك وتمرُّ عليه
وهل تقطعه أنت
أم هو يقطعك
وهل نهاية العالم هي نفسها نهاية الزمن
وتوقّف الزمن هو يوم القيامة الموعود!

وهل الجنة والنار لا زمن فيهما
وهل معنى الخلود
خلو حاضرك من زمن ووقت يمرُّ عليك
فتبقى أنت أنت !

لا تقل لي آلاف السنين بدون تغيير
قلت لك خلا حاضرك عن الزمن والوقت

الحاضر زمن فكيف تقول حاضر
إذن لا مهرب من الزمن
فالحاضر زمن أنت فيه الآن
والماضي زمن كنت فيه
والمستقبل زمن ستصير إليه
فهل تستطيع إذن أن تتخيل نفسك بلا زمن
وهل تستطيع أن تتحدث بلغة لا زمن فيها!

أنت أيها الإنسان محكوم في كل شيء
ومحاط بكل شيء
لا سيطرة لك على شيء
ولا تملك شيء
تتوهّم أنّك على شيء
وأنّك تقدر على شيء
وفي حقيقتك أنت في رحمة القدر
وبين كفي الزمن
وفي حضن هذا العالم
لم يكن لك خيار في الوجود والعدم
ولا لك خيار في المستقبل
ولا حتى في الحاضر
وتحسب أن لك خياراً في الماضي
ولكن الماضي كان مستقبلا قبل ذلك
فإذن لم يكن لك فيه أي خيار
إنما هي إيحاءات تشعر بها

وتحس فيها..!

لكن في الحقيقة ما تحسّه ليس هو الحقيقة
بل إن الذي تحسّه ما هو إلا شعور
شعور ليطمئنّ داخلُك
ولترضي ذاتَك
ولكيلا تصاب بالهوس والجنون
فالكون المليء بالغيبيات
واللا مدركات
واللا محسوسات
وكثير جدًّا من اللاءات
كل تلك لم تدركها
ولا قدرة لك أصلا على فهمها أو تصوّرها أو
إدراكها

عشْ على قدرك أيها الإنسان
وفكّر على قدرك
ولا تكن أقلَّ فتجهل
ولا تحاول أن تكون أكبر فتعجز..!

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة

22

يا شريد

هل تقصد أنني أفعل دون إرادة مني، وبإجبار عني

– وهل كان لك الخيار في الذهاب أو الإياب
نعم، ولو لم أرد ذلك لما ذهبت

– أنت تظن ذلك، وهذه نعمة
كيف هي الحقيقة إذن
– ألا يقولون لك إن الخالق واحد
يعني هذا أن خالق هذا الكون هو نفسه الذي

خلقك
خلق عملك
فعلك
تصرفاتك
نياتك
كيف إذن أنت تقول إرادتي
وما هي إرادتك
ألست مخلوقًا أنت وعملك
ألست مخلوقًا أنت ونيتك
ألست مخلوقًا أنت وسريرتك
لو كان لإرادتك تأثير لكان هناك شريك للخالق
ومؤثر عليه

ماذا إذن
ماذا يريد منا الخالق
أن نعبده
خلقنا وأراد أن نعبده وسيّرنا كما يريد..!

من أنت حتى تقيس كل تلك المسائل من وجهة
نظرك
تعتقد أن الأمر بهذه البساطة
وأن النظرية بهذه السهولة

نعم

سهلة جدًا
أنت مخلوق له
لم يكن لك أمر أو استشارة في وجودك
ولم يكن لك أمر أو خيار في بقائك
ولن يكون لك أمر أو خيار في عدمك
إذن ماذا تريد من كل هذه الأسئلة
عش كما سيّرك به

– هل تقصد أن أفعل كل ما بدا لي

وهل تستطيع أن تفعل شيئًا بغير إذنه
وكيف تميّز بين ما فطرك عليه
وبين ما بدا لك
ألم يخلقك الإله
ويوجدك
وهو يعلم لماذا
أنت بقدرتك الضئيلة
تريد أن تكتشف سر وجودك
وسر حقيقتك

عليك أن تبحث عنها ما حييت
عليك أن تسأل عنها ما وُجدت
لعلك أن تصل إلى المعرفة
لا أقول لك كن بهيمة

ارعَ واشرب..!

إن هذا الكم الهائل من أسئلة الوجود
ليس إلا سعي إلى المعرفة
وطريق إلى الحق
إذا آمنتَ بإلهك الخالق
فكن جنديًّا له
وكن عبدًا حقيقيًّا له
سرِ في ركَبه
وابحث إن ضللت ساعة عن طريقه
تهتدي إلى حياة النّعيم
وإلى راحة قلبك..

جميع الحقوق محفوظة

23

جئت مرَّةً وأنا أرى الموت من نافذة القبر
كنت في المقبرة
وقد توفي عزيز عليّ
أيها الشريد
ما هو الموت
ولماذا نموت

- ما اكتفيت من كلامي
لقد تعبت يا أيها الإنسان
قلت لي الموت!
ماذا أقول لك عن الموت
إن الناس كلها متيقنة بالموت
وصائرة إليه

جميع الحقوق محفوظة

ومصبحة وممسية على بابه
والعجيب أنهم يبكون

يقولون لك: الفقد..
صحيح
الفقد يبكي
الموت يقين مكروه
لقد قَهَرَ الخالقُ بالموت الإنسانَ
كل من له روح يموت
ولكن موت الإنسان مختلف
كل شيء يموت وهو مرتاح الضمير
إلا الإنسان يموت وضميره قلق..!
يحمل همَّ الدنيا فوق رأسه
ويرى همَّ الآخرة أمام عينيه..!

الموت
محطم الآمال
ومقصّر الآجال
ومهذّب النفوس
ورادع الرّدي
هذا الموت العجيب
هو لا شيء
ليس هناك شيء اسمه موت
إنه انتقال من حياة لأخرى

ولكن ربما يسمون عملية الانتقال هذه "موت"

سمِّها يا سيدي ما شئت
موت
انتقال
تخطٍّ
غياب
انعدام
رحيل
لكنه فَقْدٌ مؤلم

ولكن إذا كان حتميًّا وإجباريًّا
لماذا نبكي
لا أدري
لا تبكِ على شيء فقدته
ابكِ على شيء تخاف فقده

ولا تبكِ على الراحلين
فأنت في الحقيقة لا تبكي عليهم
إنك تبكي على أيامك معهم
على ذكراك
على خيالهم في قلبك
وعلى وجوههم في ذهنك
إنك تبكي على صور لن ترجع

جميع الحقوق محفوظة

وعلى مواقف انتهت البتة
لذلك تبكي

ولكن ماذا يفيدك أن تبكي على راحل تحقق رحليه
منطقي أن تبكي على مريض يريد أن يموت
وتترجّاه أن يبقى معك
وتخاف على فراقه
أما عندما يقرر الفراق
ويُقضى الموتُ
لم يعد ثمة فائدة للبكاء
أصبح البكاء لشيء آخر
للذكرى

لقد كانت تحدثني كثيرًا تلك التي فقدت أمَّها
تقول لقد كانت أنيقة
جميلة
شابة
مسالمة
كانت
وكانت
نعم كانت
لقد رأيتها جثة هامدة
باردة
تنازع الألم

ولا تريد من الدنيا فستانها الزهري
ولم تفكر قط بجزمتها اللامعة
لم يخطر في بالها أبدًا أن ترتدي خزانة فيها أكثر
من مائة قطعة
وعشرات العطور
وعشرات الملوّنات
والمزخرفات

قلت لي "موت"
لقد رأيتها كأنها قطعة خشب
قاسية اليدين
خشنة الملمس
ذهبت

لقد أعطَوها قطعة من أرض
قطعة صغيرة
مترًا وسبعين سنتم
بعرض سبعين سنتم
ليس أكثر

استكثروا عليها ذلك
فحفروا لها قطعة ضيقة جدًّا
بوسط هذه الحفرة الضيقة
ووضعوها فيها

جميع الحقوق محفوظة

أين يذهب الموتى
وماذا يرون قبل موتهم
وبماذا يشعرون
وكيف ينظرون إلينا
وماذا يدور في خلدهم
وأي الذكريات يسترجعون
وما المواقف التي تحضرهم
وما أعز أمنياتهم
وبمن يحبون أن يلتقوا قبل رحيلهم

ماذا يقول لنا بداخله
وكيف يستعد نفسيًّا للذهاب إلى شيء مجهول
هل يخاف
هل يحب ذلك الشعور

كيف تخرج روحه من جسده
وكيف يشعر بذلك
وهل يتألّم
وهل الألم جسدي أم نفسي
عجيب هو الإنسان

يقلّب عينيه بالأحياء من حوله
يريد أن يقول شيئًا

ولكن ماذا يقول
وبأي شيء يبدأ
كثيرة هي المواضيع المهمة
التي تحضره الآن
ولكن لا يستطيع أن يقول شيئًا
لأنه يعتقد أنه يضيّع ما هو أهم

كيف سيعيش بقبره
وماذا يفعل في هذا الفضاء الخالي
ماذا ينتظره في أول ليلة
ومن ينتظره
وماذا سيحصل معه
وكيف سيقضي كل وقته
هل يشعر بنا كما نشعر به
هل يتألم علينا
كما نتألم عليه
وهل يفقدنا الميت كما نقده
وهل يشتاق إلينا
كما نشتاق إليه
هل سيبلى جسده
وتعيش روحه
وكيف تعيش
وأين تعيش
وما كنهها

جميع الحقوق محفوظة

وما وصفها!

الموت وحده الحاكم في مثل هذه القضايا
فراق رهيب
وموقف عصيب
لا تنتهي عجائب الموت
ولا تتوقف الأسئلة حوله
في كل دين ومذهب
يتحدثون عن الموت قصصًا وخيالات
يتحدثون عن الموت حكايا طويلة
ووعود عريضة
وآمال كبيرة

يعدون بعضهم بالجنة
أي جنة هذه
دار نعيم تنتظرهم
فيها ما يحبّون
وما يشتهون

إنهم ينتظرون الطاغية أن يموت
حتى يرونه في جهنم
ما جهنم هذه
نار كبيرة
لا أول لها ولا آخر

جميع الحقوق محفوظة

العبيد يموتون من أجل سيّدهم
والأبناء يموتون من أجل آبائهم
والشعب يموت من أجله حاكمه
حتى يعيش الذي سيموت كذلك

يموتون من أجل ميت
ويفدون ميتًا ببضع ساعات تنتظره في هذه الحياة!

بماذا يفكر الذي يذهب إلى الموت بيديه ورجليه
ماذا يفكر
وما هي قناعاته
وكيف تكونت كل تلك اليقينيات في خاطره
حتى استوت عنده الحياة والموت
بل حتى ترجّح الموت على الحياة عنده
كيف يشعر وهو ذاهب ليموت يقينًا
هل هو فرح
هل ينتابه شيء من الخوف

المشكلة أنه لا يوجد لدينا ميت سابق حتى نسأله
كل هذه الأسئلة
ولا يوجد بيننا من جرّب الموت
حتى نستفهم منه كثيرًا
ولو وُجد بيننا واحد من أولئك

لعكف الناس كلهم عنده
يستفسرون عن الموت
وعمَّا فيه
وخفاياه
ستموت يا هذا ولا ينتهي التساؤل عن الموت
لذلك هات شيئا آخر يا شريد..



جميع الحقوق محفوظة

24

بعد أن شاهدت منظرًا مهولا في التلفاز
أممٌ من الناس تسير في الشوارع
تريد أن تنقلب على الحاكم
تصرخ بكل قوتها
اسقط
انزل
اذهب

ليس لي من يحدثني عن ذلك إلا الشريد
الحديقة الآن مغلقة
الساعة الواحدة وخمس وثلاثون ليلا

جميع الحقوق محفوظة

أنا أحبُّ السَّهَر
وأظنُّ الشريد كذلك يحب السهر

بيته في دهاليز المدينة
لا أعرفه بالتحديد
ولكن في منطقة شريدة مثله
الصباح قادم ولا بد من سؤاله عن هذا الأمر..

بعد العصر يحب الشريد أن يحتسي كأس الشاي التركي على بحر مرمرة
كثيرًا ما أرى المشرّدين يحبون البحر
البحر هو الوحيد الذي يفهمهم
ولا يتكبر عليهم
الوحيد الذي يجالسونه وهو صامت
ويسمح لهم بالكلام في حضرته

يا شريد
- رأيت جيشًا من البشر يريدون إسقاط الحاكم

- الحاكم
لا أعرف كيف يفكر الناس!!
ولكن هذه سُنَّة الدفع التي خلقها إله هذا الكون العظيم
يسير الكون في سنن وتراتيب عجيبة

ترى الأشياء وتقول ما أبسط أن يفهم هذا
أو أن يتراجع هذا
وكل ذلك من نظرتك الشخصية
لكن في الحقيقة أن الكون يجري على مقادير
مكتوبة
ومرتبة بشكل دقيق
لا يتجاوز منها أي شيء قيد شعرة

ما هذا السِّرُّ الذي وقع في قلوب الناس
من تبجيل شخص وراء الأستار
ومن جعل الروح فداء له
مِن الذّبِّ عن قداسته
ومِن تطويع الأهل والأولاد لأجله
هو بشر مثلكم مثله
لا سلطة خارجية له

كيف أصبح فرعون فرعونًا
يقول المثل العامي:
(يا فرعون من فرعنك، قال: ما وجدت أحدًا
ردعني)
بالطبع
لم يجد فرعون أحدًا يصده ويردعه
بل وجد الكل يذعن له الرقاب
ويطوي له الظهور

تبجيلا وتعظيمًا وتقديسًا
وهكذا الحاكم

أنت أيها الإنسان
وأخوك وكل بَني جنسك هم سبب في فرعنة الحاكم
لأنك وغيرك لمْ تقل له: لا
ولا سلطة له عليك إلا بك!

هل يتجسس الحاكم على الناس بأذنيه
هل يعذبهم بيديه
هل يعتقلهم بنفسه

يعذب الحاكم الإنسان بالإنسان
ويقتل الإنسان بالإنسان
ويقمع الإنسان بالإنسان
وهو ينظر من برجه العاجي إلى القاتل والمقتول
ويضحك على كليهما

لو امتنع القاتل عن القتل
ورفض طلب أمر الحاكم
لما وقع له من التجبر والفرعنة شيء
ولو أخذ كلُّ إنسانٍ حريته الشخصية على محمل الجد

لما حصل هذا الطغيان

يجعل أحدنا من نفسه أداة لغيره
فيستعبده غيره
ويسرق أمره
ويفعل به ما يشاء
على من يشاء

الطاغية ضعيف جدًّا في نفسه
لأنه يخاف من كل أحد
حتى من زوجته وأولاده
يعرف أن الجميع يحملون له الحقد
ولا يثق بأحد أبدًا
وعندما يثق بأحد يسقط

أن يثق الظالم بأحد
هذا يعني أنه بداية الانحدار
وكلّما كان أكثرَ خوفًا وحذرًا مِن كل أحد
كان أثبتَ في مكانه

الطغيان لا يعرف أبًا أو أمًّا أو رَحِمًا
الطاغية طاغية على الجميع
لا يستطيع أن يتصور نفسه رحيمًا حتى بنفسه

وتقول كيف ينشأ الطاغية
وكيف يتقوى
وكيف يثبت
وكيف يستمر..
هكذا...!



جميع الحقوق محفوظة

25

أربعة وعشرين سنة متكاملة في زنزانة السجن
٢٨٨ شهرًا
أكثر من ألف أسبوع

عدّ يا سيدي حتى تشبع
أيامًا
وساعات
ومواقفَ ولحظات وأحداثًا
لا يمكنك أن تعدَّ أصلا لأنك خارج الجو

جميع الحقوق محفوظة

ماذا يفكر المعتقل
المسجون
المعذّب جسديًا ونفسيًا
أين خاطره وبماذا ينشغل
بنفسه
بأهله
بمصيره
بما سيحدث له الآن
أم بما سيحدث له لاحقًا
أم بما سيحدث لأهله
أم ماذا

هل يفكر بالموت
بالسجن
كم سنة
واحدة
اثنتين
خمسة
عشرة
أم بالسجن مؤبدًا
أم بالسجن أشغالا شاقة
سجن لا بأس
في أي سجن
المخابرات

جميع الحقوق محفوظة

المباحث
العسكرية
النيابة
الشرطة
ألف فكرة تراوده
وهاجس يجول بخاطره

كلها فقط مسيرة دقائق
من مكان اعتقاله
إلى مصيره اللامعلوم
واحسب ماذا سيجول بخاطره في كل تفصيل مما
ذكرته لك فوق

تفاصيل اعتقاله في الفرع الفلاني
وتفاصيل تعذيبه
ومقارنته بين فرع وآخر
ومدة سجن لآخر

في سيارة الشرطي:
أين أنا
ماذا فعلت
وكيف أبدو
وما مصيري

في زنزانته الضيقة
مئة شخص في أمتار محدودة
السماء مقفلة
والأرض يابسة
والجدران مكفهرة
والناس تلعق الموت

ماذا يفكر الإنسان الذي يتمتع بتعذيب الإنسان
أجرم مخلوق على وجه الأرض
هو الإنسان
مجرم في حقّ نفسه
ومجرم في حقّ ربه
ومجرم في حقّ الإنسان
والحيوان
والشجر
والحجر
والكون كلّه
لا ينتهي إجرامه
ولا تنقضي مشاكله

من النادر في الطبيعة
أن يأكل الحيوان لحم أحد من فصيلته
أو يشذ عن سنن الكون الطبيعية
إلا المخلوق الغريب

جميع الحقوق محفوظة

الإنسان
قد يأكل لحم أباه وأمَّه
أكلا حسيًّا ومعنويًّا
عنده قلب كالحجر
وعقل صلد
طاحن في كل شيء
قراراته
أفكاره

هذا جنس البشر
من هذب نفسه
وأعاد برمجة حيوانيّته
فإنه يتخلى عن كثير من هذه الطباع

الإنسان يجمع بين الحيوانية وبين الملائكية
وهو يقرر إلى أيِّهما يميل
ومن يكسب من بينهما
وكثيرًا جدًّا نراهم حيوانيّين
وحشيّين

إنسان يعذب إنسانًا ربع قرن
أو نصف قرن
يعذبه كلَّ يوم عذابًا جديدًا
يتفنن في قتله نفسيًّا وجسديًّا

يشويه
يرقص على جثته
ويسكر على عذاباته
وأكثر من ذلك بكثير

السلطة مطغية
والشعور بالتحكم المطلق متعة لذيذة
لا يصدّق الإنسان أن يتملك شيئًا
أو يؤول إليه أمر شيء ما
إلا ويتفنن في إيجاد سبل الإذلال للإنسان
ويتفنن في اختراع أقذر المواقف والاستعباد

إذا كان زبَّالا وتحت يديه موظف
تراه يستعبده
ويتكبر عليه
ويتمتَّع بوضع كلَّ العراقيل في طريقه

وهكذا
كل واحد يستحقر مَن فوقه
ويسعى إلى ظلم مَن تحته
وهكذا هرميّةٌ من الظلم والإذلال لا تنقطع
وتسلسلٌ فظيع من النفسية القبيحة

إنسان فيه كل صفة إلا الإنسانية

وليس كلنا
بل هذا طبع
وهناك من تخلص منه
وهناك من تشبث به وتمسك به.!



جميع الحقوق محفوظة

26

يا شريد
ألست إنسانًا
كل لحظة تكيل التهم والذمَّ لهذا الإنسان
لماذا يا شريد

- سأقول لك:
عجيب هذا الإنسان
لا يقنع بما بين يديه
ولا بما يملكه
حس الاستشراف
وحب التطلُّع إلى ما وراه اليد

جميع الحقوق محفوظة

وإلى ما بعد المُلك
لا يقنع بما في يديه إلا ندر قليل من البشر

كل ممنوع مرغوب
وكل مسموح مهجور
وكل مُعجِز حلم
وكل مقدور عليه مزهود فيه
متضارب الأفكار
والأهواء والمرادات

إنسان لا يتوقف عن التفكير
في تحصيل كل شيء
ربح في تجارة فيدخل في أخرى
مارس الجنس مع أنثى
فيبحث عن أخرى
أحب امرأة
فيذهب لأخرى
أكل أكلة
فيبحث عن أطيب منها
وهكذا

لا يهدأ
ولا يشبع
ولا يقنع

جميع الحقوق محفوظة

ولا يملأ عينه شيء
ولا تملأ نفسه شيء
ولا يملأ عقله وقلبه شيء

النفس هكذا
وكل نفوس الناس هكذا
تتشوف لما عند الآخرين
وترغب بما ليس عندك
حتى لو كان ما عندك أجمل وأفضل وأكمل مما
عند الآخرين
فهي تنظر إلى أيديهم
وترغب فيه

إذا أصبح مديرَ مكتبٍ
يسعى إلى إدارة القسمِ
ثم يطمح إلى إدارة المؤسسة
فالشركة
فالقطاع
فالوزارة
فالرئاسة
وهكذا
ولو يصحّ أن يستلم حكم الكون بدلا عن الخالق
لفعل

جميع الحقوق محفوظة

لا يردعه إلا شيء واحد
يحطم آماله
وينهي طموحه
الموت
الموت وحده الكفيل بقناعة الإنسان
بالاكتفاء عن هذا اللهث والعبث

كل يوم له حلم جديد
طموح جديد
معارك جديدة
جبهات تفتح
وحروب تشتعل
كلنا هكذا
وإلا من رحم ربك
وإنهم أقل القليل.!

جميع الحقوق محفوظة

27

- بالمناسبة ماذا تعرف عن الكون يا شريد

الكون!
ها ها

- هل سألتُ شيئًا مضحكًا!
لا ابدًا،
كما يقولون: المضحك المبكي

يا صديقي الكون شيء لم تدرك منه أنت
وجماعتك إلا أقل من عشر أعشار المئة
والمئة كثير

يبذل الشرقُ والغربُ لحمَه ودمه لمعرفة أقل القليل
عن الكون

جميع الحقوق محفوظة

- عفوا قلت: الشرق..!!
لا لا ، الشرق لا يبذل جهده إلا في أشياء نفيسة
خلطة الفلافل المحشية
طريقة رصّ سيخ الشاورما
ابتكارات جديدة في توابل الكبسة والبرياني
وهكذا
نحن لا نبذل -ولله الحمد- أي جهد في أمر تافه
هل ستصدق الغربي عندما يتكلم عن الكون
كلا
صدِّق العربي عندما يتكلم عن الفول المدمس،
وهكذا
يا صديقي نحن عالة على العالم كله
عالة حتى بمواضئ الصلاة
وسجادات وأثاث المجسد الذي يُذكر فيه الله!!
حتى المسبحة التي تسبح بها، تصنع في الصين
والأنكى من ذلك، الذي يقول لك: قاطع الكفار

لو قاطعتهم لانقطع نفَسُك
السبب أنت وكسلك
وليس فضيلة الغرب وذكاؤه
المهم
نرجع للكون أشرف...!

يا صديقي كل ما قيل وكُتب ودُرس في الكون وعن الكون
ما هو إلا مجرد نظريات
والنظريات فرضيات
تعرف ما معنى فرضيات
الفرضيات أي: الظن أو أغلب الظن
مثل ما تقول لأحدهم: افرض أن الأمر هكذا
أي اعتبر انه كذلك حتى لو لم يكن كذلك
هذا لا يعني التحقير من فضيلة العلم والبحث أبدًا
لكن حتى تعرف أننا لا نملك إلا ما نُخمّنه
نحن نملك ملايين النظريات والفرضيات
ونملك القليل من الحقائق..!

كلّما اكتشفتَ شيئًا عن الكون اليوم
يأتيك الغد وتكتشف أكثر مما اكتشفته أمس
وكلما آمنت بنظرية حتمية اليوم
تأتيك معلومة جديدة تنسف لك حقيقة الأمس
وهكذا
العالم مذهول ومشغول بالبحث عن حقائق لا تنتهي

وخصوصًا النظريات الفيزيائية
فهي دائمًا مؤقتة

سرعان ما تتغير بين لحظة وأخرى
وعند كل اكتشاف جديد تنسف جميع النظريات
السابقة

كان سابقًا من لم يؤمن بنظريات أرسطو وإينشتاين
وغيرهم فهو مجنون زمانه
والآن أصبح من يصدق بعض نظرياته هو مجنون
فعلا

مشكلة الناس يقدسون العلم أكثر مما يلزم
ومشكلة الآخرين أنهم يستهينون بالعلم أكثر مما
يلزم
ليس جزافًا يا صاحبي أن تكون النظريات غير
مقطوع فيها
لأنها تحتاج إلى آلاف التجارب الناجحة
ويجب أن تكون في كل مرة ناجحة
ولو اختلفت مرّةً واحدة فقط
أصبحت النظرية مخروقة وغير حقيقة

أنت تلاحظ إذن كم يبذل العالم من الجهد والوقت
والقدرة المادية والمعنوية
حتى يثبت نظرية
ليس حقيقة
نظرية فقط

ثم يأتيك صاحبنا من محل الفلافل المحشية
والشاورما المشوية
ويتفل ما بين أسنانه من بقايا الأكل
ويقول لك: إيه ما علينا
كلام الكفار كله فاضي..!

حسبي الله عليك..!
أنا أرى أنك أنت الجاحد
بنعم الله
والجاحد بالكون العظيم الذي أوجده الله
ووضع فيه ما يعجز كل عقل عن إدراك عشر
أعشاره

- لا تغضب يا شريد، أنت أصلا عربي
صح، أنا عربي وأتشرف
أنا لا أنتقص العرب يا صاحبي
أنا آسى على وضعنا الحالي
وضعنا المخزي باختصار..

- أيها الشريد
الكون وبدايته ونهايته

حدثتك قبل ذلك عن الكون
شيء مهول يا صاحبي وليس كما تظن

وليس كما توصلت إليه أحدث العلوم حتى

ما هذا الكون العظيم
كيف أُوجد
هل أوجد من العدم
أم أنه تطور من مخلوق سابق
وهل حقيقة وقع انفجار كبير للكون
وظهر هذا الذي نراه
وهل صحيح ما يسأله بعض فلاسفة الغرب
"ماذا كان يصنع اللّٰه قبل خلق الكون إذن"
وهل كان اللّٰه يفتقر لخلق الكون حتى يكون
مشغولا!!

سؤال غبي..
هل تعتقد أنه لا يوجد عند اللّٰه إلا هذا الكون
وهل تقيس وضع اللّٰه على وضعك أنت..!
هذا العقل ومشكلته عندما يحشر أنفه بما لا
يحتمله

وما هذه الكواكب في السماء
وما فيها من حياة
وما فيها من أجرام ونجوم
وهل عليها حياة كحياتنا
وماذا يوجد داخل الأرضين

وما بينها
وماذا يوجد بين الأرض والقمر
وبين الشمس والارض
وبين الشمس والقمر
وبين وبين وبين

ماذا يوجد بينهم من عوالم
من مجرات
من خلق
ماذا يحتوي هذا الفضاء الهائل الكبير
وماذا يسير فيه

هل تظن أن هذا الكون خلق "على البركة"
خُلقَ هكذا مرة واحدة وتُرك هو ونصيبه...!!!
مسكين
حتى أعتا الملحدين لم يستطع أن يقنع نفسه بهذه
الفكرة

خُلق هذا الكون في تراتيب رهيبة
وفي أقدار دقيقة
وعلى نواميس محددة
في أدق دقائق التفاصيل تجد تفاصيل أكثر دقة

الحياة تسير بترتيب عجيب

وبتناغم موحد
الليل والنهار
الشمس والقمر
المطر
الصحو
كل ذلك له وقت
له فعل وردُّة فعل
له سبب ومسبب
له حركات ونواميس وسنن

لذلك دعا قرآنك أيها المسلم أن تذهب وتتفكر
وتبحث وتسعى وتبذل الجهد
لتعرف ماذا يخفي هذا الكون
ولكن انشغل معظم المسلمين ببعض العبادات
التقليدية
وترك ما من الممكن أن يكون الله في قلبه أعظم
وأقدس

ما علينا!
أصلا سيقولك لك صاحبك المبتهج
ماذا ستنفع نظريات الفيزياء الكمية والجزئية
ونظريات النسبية
وسرعة الضوء
وقياس الأفلاك

وأبعاد الأجرام السماوية
ماذا ستنفعك يوم القيامة ..!
- باللّه عليك هذا إنسان عاقل

هذه الثقافة يا صاحبي هي الدارجة هذه الأيام
يفكر أن اللّه محتاج إلى عبادته
أو بعض أمواله
الإنسان السخيف هو الذي يظن ذلك

اللّه خلق هذا الكون
وأبدع فيه كل تلك العظمة
ووضع فيه كل تلك المدارج والمدارك
بنواميس دقيقة ورهيبة
يأتيك مستحقرًا من العلم
ومن البحث والتفكر
ويقول لك صلِّ ركعتين آجر لك

جريمة إنسانية بكل معنى الكلمة
- دعنا من البطّالين

- يا شريد، حقيقة ماذا سيستفيد الباحث
والمنقِّب
والدّارس
والذي يوصل ليله بنهاره

ماذا سيستفيد من كلّ هذا البحث
وإلى أين يريد أن يصل
وأنت أصلا يا شريد تقول إنك لن تصل إلى عُشر
أعشار المليون

صحيح يا صحابي أنا أقول ذلك
ولا يعني أنني أستخف بالعلم
قطعًا
أقول ذلك حتى نفهم حجمنا ولا يغرّنا الاكتشاف
والعلم الذي نقع عليه
ولا يخيّل إلينا ولو للحظة أنّا نسيطر على الكون
أو نعرف كلَّ شيء عنه أو فيه

إنما كلما بحثتَ أكثر وتجلت لك العظمة في الصنع
وكلما وقفت على معلومات فظيعة في الكون والخلق
والفضاء وما وراء الما وراء
كل ذلك يجعلك تذهل أمام عظمة هذا الرّبّ
الكبير
أمام هذا الخلق المبدع

المشكلة ليست في العلماء
المشكلة في نصف المتعلمين
أو الجاهلين
هم أكبر كارثة

إذا تعرّف أحدهم على نظرية ما
أو وقع على معلومة بالغلط
فإنه يظن أنه ملك مفاتيح السماوات والأرض
ولا يعرف أنه كلما ازداد علمًا
ازداد جهلا بنفسه وقدره

- هذا شيء عن كوننا المرئي
ماذا عن الأكوان غير المرئية
الأفلاك التي نشاهدها
هل هي الآن في الماضي أم في الحاضر

كم تستغرق المسافة بيننا وبين هذه الكواكب
كل القياسات والنظريات تتطور في اليوم عشرات المرات
كل مرة يخرج العلماء بشيء جديد

ماذا عن الضوء الذي نراه
هل هو الضوء الآني
أم هذا الضوء هو حال الكواكب قبل ملايين السنين
أي نحن نرى الماضي الآن لا الحاضر

ملايين السنين
وملايين المسافات الضوئية

وكل ذلك لم يشفِ جزءً قليلا من غليل العلم
ولا وصلنا إلى شيء يمكن أن نطمئن إليه من العلم
جَلَّ من أنت يا أنت ولا إله إلا أنت!

– يا شريد ماذا ترى في هذا الخلق المتّزن
الذي يسير بتقنية رائعة

نعم
نعم
هل ترى الليل والنهار
الضوء والظلام
كيف يأتي بقدر ويذهب بقدر
كيف يسير بتعاقب دقيق جدًّا
لا الليل يسبق النهار
ولا النهار يسبق الليل
ولا الشمس تسبق القمر
ولا القمر يسبق الشمس
ولا الأرض تخرج عن مدارها
ولا الأفلاك تختل حركها

كيف يختلف الليل والنهار
وكيف ينشأان
وهل يَطلُعان أم يُخلقان
أم يتجدّدان

هذا البحر العظيم
الذي يغطي ثلاثة أرباع الكرة الأرضية
كيف يستقر في مكانه
كيف لا يخرج عن الحفرة التي هو فيها
كيف لا ينزل للأسفل
أو يصعد للأعلى
كيف يتماسك بنفسه وهو سائل لا جرم له
هذا البحر العظيم الذي يحتوي على ما لم يكتشف
الإنسان إلا جزءً صغيرًا جدًّا جدًّا منه
لا تدري ما يحتوي في أعماقه
من مخلوقات
من جبال
من أشجار
من حيوانات
هذا البحر السائل الخفيف
الذي يُحدث الدمار إذا هاج وانفجر

هذا الماء الرقيق
الذي يخرج من الجماد الصلب
ويقضي على كلّ شيء إذا خرج قليلا عن مساره
يحمل هذا الماء الرقيق السفن والبواخر
ذات الأحجام الهائلة والأوزان العظيمة
وتستقر على ظهره بكل إتقان وروعة

ماذا عن هذا السحاب المعلق بين السماء والأرض
السحاب الذي لا جرم له ولا وزن
تستطيع اختراقه بيدك لترى أنه مجرد لا شيء
هذا السحاب الذي يُنزِل المطر والبرد والثلج
والعواصف والرعد والبرق
هذا السحاب العجيب
الذي يتطاير في الهواء
لكنه يُنزِل الصواعق من بين ثناياه
والأعاصير
ويدمر الجمادات الهائلة

ما هذا الخلق العظيم
وكيف نفهم كلَّ ذلك ونفسره

هذا السحاب الذي يُنزل المطر
ويَخرج به الزرع
وتعيش به الدواب على وجه الأرض
تحيا به الأرض الميتة
وقد تموت به الأحياء
وتحيا به الأموات
إذا نزل بقدر دقيق ومقدر ينفعك
وإذا نزل بقدر كبير مخيف قد يهلكك
من يملك أمر ذلك كله

جميع الحقوق محفوظة

ويوازن ذلك كله
ويسمح له أن ينزل بالقدر الفلاني بالوقت الفلاني
باليوم الفلاني بالمكان الفلاني
قد تمطر هنا وبعد عشرة أمتار لا تمطر
من يقسّم هذا الكون بهذه الطريقة البديعة
وبهذا التناغم المهول
سبحانك يا أيها الرب العظيم
ماذا نعرف عنك وماذا ندرك عنك
وهل ستسامح جهلنا بك..!

- يا أيها الشريد
إذا كان الماء هكذا والسحاب الذي نراه أيضا بهذه العظمة
الهواء يا شريد
الرياح
لا نراها ولكن قد تفعل ما لا يفعله السحاب والماء..

نعم صدقت
الرياح التي لا ترى بالعين ولا تلمس باليد
تأتي بقدر معلوم
وبهبوب مدروس
إذا زادت سرعتها دمرت كل شيء في طريقها
وإذا توقفت حصل الاختناق والضيق

هبوبها فيه النفع والخير
وفيه العذاب والسخط والهلاك

نظام رهيب في هذا الكون
كل شيء له قدر يجري به
وله مهمة يمشي عليها
وله نواميس لا يخالفها

هذا الخلق العظيم أيها البشري
قطعًا لم يُخلق باطلا
لم يُخلق عبثًا
لم يُخلق صدفة
وأي حقيقة تستطيع أن تخلق هذا
فضلا عن أن تكون صدفة
الحقيقة المطلقة الكلية الواحدة
الرَّبُّ العظيم
هو وحده من يقدر على ذلك كله
وهذا شيء من الخلق قليل جدًّا
هذا فقط الذي نراه ونحسه ونشعر به

كيف بك بالذي لا نراه من هذا الكون
وهو أكثر بملايين المرات مِن الذي نراه
كيف لك أن تعرفه
أو تصل إليه

كل الذي نراه قليلٌ جدًّا
ومع ذلك ندهَش به
ونتعجب
ونتصاغر أمام تلك العظمة

من أنت
وما أنت
وما حقيقتك
وما كنهك أيها البشري
هل تصورت ذلك كله
وهل أحسست به
وأدركته

ما أجهل علمك
وما أقل كثرتك
وما أفقر غناك ..!

- أيها الشريد
ماذا عن الليل الذي يسكن فيه الوجود
وعن النهار الذي يتأجج به الكون

إن هذا الليل بهدوئه وحُلكته
وظلامه
الذي يبعث على الراحة والسكون

جميع الحقوق محفوظة

وهذا النهار الذي يبعث على الحيوية والعمل
كل ذلك عظمة أخرى

لماذا الليل سكون
ولماذا النهار حركة
من قرر ذلك
ولماذا اتفق الخلق كلهم
حتى الحيوانات على ذلك
فطرة وانقيادًا
حتى يعرف هذا الإنسي المتغطرس أنه لا يملك من أمره شيئًا
هو منقاد إلى أن يكون ليله نوم وسكون
ونهاره حركة وعمل
كل الكون يجب أن يكون كذلك
بدون اختيار من أحد
وبدون اقتراح أو طلب

أنت عبد حتى في أدنى وأصغر الأشياء
عبد للذي أوجدك ضمن هذا الكون البديع
ثم تتكبر وتتغطرس ..!
بالطبع لا يتكبر إلا جاهل
لأنه لا يعرف عن نفسه أي شيء
فضلا عن أن يعرف عن هذا الكون شيئًا واحدًا ..

28

أسمع

لا تقل لي كفى يا شريد

لقد ضجرت مني
وتعبت مني
وأرهقت مني

ماذا أريد
ومن أنا
وإلى أين
صدقني إني أعرف كل تلك الأجوبة
ولكن ليس المغزى في جوابها
إن المغزى في سؤالها

جميع الحقوق محفوظة

في سعي الروح
والقلب
والجسد

إنه صراع عنيف وحاد
وجدال طويل ومتشعب
خلاف محتدم
بين جوارحي
وأحاسيسي ومشاعري

لماذا أنا هكذا ولا أريد هذا
ولماذا لا أستطيع
ولماذا أبقى على ذلك
لا أدري

لقد أتعب جسدي روحي
وأرهقت نفسي قلبي
كل ما لا أريده أحس أني مجبور عليه
وكل ما أحب تغييره يجلس في وسط حلقي

كيف ومتى
متى ينتهي هذا الصراع المقيت
هذا الصراع الأليم
أكره نفسي

جميع الحقوق محفوظة

وأنكر حسي
وأخالف طبيعتي
كيف تتغلب على نفسك
وكيف تفعل ما تريده روحك
وكيف تسيطر على أحاسيسك

قل للشريد يا هذا
علّمه
عسى أن يساعد نفسه في هذا المعترك
وأن يتخلص من هذه الحرب الضروس

آه من هذا الشريد
يلاحقني طيفه في كل زاوية
ولا أستطيع أن أقول
أو أشكي
أو أبكي

لمن تشكي
لا يوجد أحد يفهم عليك أيها الشريد
ولا يوجد أحد يستوعبك

أيها الشريد اذهب بعيدًا
اذهب إلى الغابات والبراري
اسبح بروحك هناك

جميع الحقوق محفوظة

إن هذا الوجود السميك يقتلك
هذا الثقل الكبير في الوجود يربطك
انطلق أيها الشريد
ماذا تنتظر

أعرف أنك لا تستطيع
ولكن يكفيني أن أجاملك بالحديث
وأنصحك نصيحة لا تستطيع فعلها

كل ما تفعله أيها الشريد لا تحبه
وكل ما تقوم به تكرهه نفسك
وينكره قلبك
وتتبرأ منه أمام ذاتك
أمام ربك

تريد أن تكون كما تحب
أن تكون روحًا
لا جسمًا
أن تكون طيفًا
لا ثقلا

أيها الشريد المشرد
أيها المكروه عند نفسه

جميع الحقوق محفوظة

أيها المنبوذ من ذاته
كفَّ عن هذا التناقض

لقد أتعبتني أيها الشريد
لا أعرف كيف أساعدك
ولا أعرف كيف أوجّهك
وليس بيدي أي دواء أهديه إليك
ولا نصيحة غير الصمت

أيها الشريد المشرد
نفد كلُّ الصبر عندي
وانتهى الصمت
ولم يبق عندي إلا الحزن
نعم
الحزن أيها الشريد
قد يكفي حزني بالقلب عليك
إنكارك لذاتك
تبرؤك منها
قد ينفعك يومًا أيها الشريد

أعرف أنك تعبت أيها الشريد
تعبت كثيرًا
ولا شيء لديَّ كما قلت لك أقدمه
وأنا تعبت مثلك

جميع الحقوق محفوظة

وأنا أتناقض معي مثلك

أيها الشريد
كفَّ عن كل ذلك
ولا تسكت عن سؤالك
ولا تقف عند ذاتك
تجاوز حدود هذا الوجود المؤطر
انطلق خلف هذا الأفق الكبير

هناك أيها الشريد الكثير الكثير
جاهد ذاتك
استخدم كلّ سلاح تعرفه
سلاح الحسّ والمعنى

أيها الشريد استخدم سلاح البكاء
سلاح الهيام
سلاح البراري
سلاح الصحاري
كلّ سلاح تسمع به
كلّ سلاح يمليه قلبك عليك
لعلك تهدأ
لعلك تصل إلى سلامك
إلى روحك
وإن وصلت أخبرني

جميع الحقوق محفوظة

وإذا انتهيت علمني
حتى أفرح لك

أيها الشريد المشرد
كن أنت
كما أنت

واترك أنت
لتسلم أنت

ومُت أنت
لتعيش أنت

أيها الشريد المشرد
غب عنك
لتحيا فيك
وأنه هذه المأساة
وانتهِ أنت معها

والسلام عليك
أيها الشريد المشرد
السلام عليك أيها الشريد المرير
ولا تقلي سلاما
حتى ترى السلام...!

جميع الحقوق محفوظة

29

سـلوا الحلاجَ عن شـعري
أفي وصـف الهوى كفري

دمي المُهراقُ يتبعني
ليغسـل عارَه طهري

أنا ما قلتُها شـعرًا
ولا نظمًا وفي نثري

أنـا مـا قـلـتُ أهـواهـا
بصـــحوٍ أو على ســـكري

أشـــعـريْ الـكـفـرُ، أم أني
أرهـا الـكـفـرَ في شـــعـري

حســبتُ الحبَّ يســعفني
إذا مـا وسّـــدوا قـبـري

فـلا تســـألْ شـــريـدًا
ضـــاعَ من ســـرٍّ إلى ســـرِّ

فـكـان الـحـبُ أســـهـمَهـا
ولا تـأتي ســـوى غَـدرِ

جميع الحقوق محفوظة

ســـلـوني بـالـهـوى إنيْ
شــريـدٌ ضـــاع في الفجرِ

ولم تشــرقْ لـه شــمسٌ
ولـم يـبـدو عـلـى خـيـرِ

يصـــوغُ الأفـقَ قـافـيـةً
ويشـــربُ مـن دمِ الـبـدرِ

يـنـام الـبـحـرُ في عـيـنـي
ويغفو النورُ في صـــدري

أنـا لســـتُ الـذي أبـدو،

ولســـتُ أنـا الـذي أدري

لقـد ضـــاقـتْ حروفي من
مـعـانٍ بـيـتُـهـا فـكـري

وراحَ الـنـاس مـن حـولي
يـظـنـونيْ عـلـى شـــرٍّ

أيـا حـلاجَ قـافـيـتـي
لقـد أفنى الهوى صـــبري

فـمُـر بـالـقـتـل تـعـزيـزًا
وهـذا دونَـكـم نـحـري

جميع الحقوق محفوظة

استدراك:
كان الشريد ضائعًا تائهًا فتناسى أن يضع أرقامًا لصفحات كتابه، فاحذر أن تضيع بين صفحاته كذلك...!!